فَتَاوَى فِي التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ

تَأْلِيفُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ رَبِيعِ بْنِ هَادِي عُمَيْرٍ الْمَدْخَلِيِّ

أَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ دَاخِلَ الْعَالَمِ فَكَيْفَ يُجَابُ عَلَى الَّذِي يَقُولُ وَيَحْتَجُّ بِنُزُولِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

هَذَا الَّذِي يَقُولُ إِنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ هُوَ أَصْلُهُ لَا يُؤْمِنُ بِعُلُوِّ اللهِ عَلَى عَرْشِهِ لِأَنَّهُ مِنْ أَصْلِهِ يَقُولُ إِنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ, وَلَكِنْ لِنُصْرَةِ بَاطِلِهِ يَتَعَلَّقُ بِأَحَادِيثِ النُّزُولِ, وَالنُّزُولُ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ السَّلَفِ, هَلِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ عَنِ الْعَرْشِ, وَالرَّاجِحُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى عَرْشِهِ وَنُزُولُهُ يَعْنِي عَلَى كَيْفِيَّةٍ لَا

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَصَوَّرَهَا, لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ.

وَكَمَا نُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ, نُؤْمِنُ بِنُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ لِأَنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَإِنَّ اللهَ يَنْزِلُ وَيَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى, وَلِأَنَّ ذَاتَهُ لَيْسَتْ كَذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فَنُزُولُهُ لَيْسَ كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ, فَلَا عِلْمُهُ كَعِلْمِ الْمَخْلُوقِينَ وَلَا قُدْرَتُهُ كَقُدْرَتِهِمْ وَلَا عُلُوُّهُ كَعُلُوِّهِمْ وَلَا اسْتِوَاؤُهُ كَاسْتِوَائِهِمْ وَلَا نُزُولُهُ كَنُزُولِهِمْ ...

فَأَهْلُ السُّنَّةِ قَالُوا يَنْزِلُ – مَثَلًا – وَ لَا يَقُولُونَ كَيْفَ يَنْزِلُ, لَكِنْ هَلْ يَلْزَمُ مِنْ قَوْلِنَا بِأَنَّ اللهَ يَنْزِلُ, أَنَّ اللهَ يَنْتَقِلُ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

بَعْضُهُمْ قَدْ يَرَى ذَلِكَ وَهَذَا رَأْيٌ مَرْجُوحٌ, وَالصَّوَابُ أَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ وَنُزُولُهُ كَمَا أَرَادَ وَكَمَا شَاءَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ, وَالتَّغَلْغُلُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مِنَ السَّلَامَةِ تَرْكُهَا – بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ – .

وَالْقَاعِدَةُ عِنْدَنَا أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِمَا ثَبَتَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَحَادِيثُ النُّزُولِ مُتَوَاتِرَةٌ وَقَدْ شَرَحَهَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي أَحَادِيثِ النُّزُولِ وَرَدَّ عَلَى هَذِهِ الشُّبَهِ وَحَكَى فِيهَا مَذْهَبَ السَّلَفِ, فَشَأْنُ النُّزُولِ كَشَأْنِ سَائِرِ الصِّفَاتِ, نُؤْمِنُ بِالصِّفَةِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

[لِقَاءٌ حَدِيثِيٌّ مَنْهَجِيٌّ مَعَ بَعْضِ طُلَّابِ الْعِلْمِ بِمَكَّةَ]

هَذَا سُؤَالٌ عَنْ صِفَةِ السَّمْعِ وَأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ, فَهَلْ نَقُولُ: إِنَّ لَهُ أُذُنًا لِأَنَّ بَعْضَ الْبَدْوِ يَقُولُونَ لِلْأُذُنِ السَّمْعَ؟

لَا, لَا نَقُولُ: إِنَّ لَهُ أُذُنًا, تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ, وَمَا لَنَا شُغْلٌ فِي أَهْلِ الْبَدْوِ, الْبَدْوُ يَحْتَاجُونَ إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُمْ! نَقُولُ: لَهُ عَيْنَانِ كَمَا أَخْبَرَ, لَكِنِ الْأُذُنُ مَا وَرَدَ عِنْدَنَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ إِلَّا أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؛ سَمِيعٌ وَيَسْمَعُ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾؛ فَعَبَّرَ عَنِ السَّمْعِ بِالْمَاضِي وَبِالْمُضَارِعِ وَبِالصِّفَةِ, لَكِنْ لَمْ يَذْكُرِ

الْأُذُنَ, وَنَحْنُ لَا نُثْبِتُ لِلهِ إِلَّا مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَلَا نَنْفِي عَنِ اللهِ إِلَّا مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَا سَكَتَ اللهُ عَنْهُ لَا نَتَدَخَّلُ فِيهِ.

[فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ (الْحَلْقَةُ الثَّالِثَةُ)]

هَلْ كِلْتَا يَدَيِ اللّٰهِ يَمِينٌ وَهَلْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ؟

الدَّلِيلُ عَلَى إِنَّ كِلْتَيْ يَدَيْهِ يَمِينٌ؟ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالْبُخَارِيِّ، رَسُولُ اللهِ قَالَهَا، هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ، وَاللهُ أَثْبَتَ أَنَّ لَهُ يَدَيْنِ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ، وَالرَّسُولُ بَيَّنَ أَنَّ كِلْتَيْ يَدَيْهِ يَمِينٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَعَلَامَاتُهُمْ]

الْمَجِيءُ مِنْ صِفَاتِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ

مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِثْبَاتُ أَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ الثَّابِتَةِ فِي كِتَابِ اللهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهَذَا الْمَجِيءُ ذَكَرَهُ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ

وَفِي سُورَةِ النَّحْلِ وَفِي سُورَةِ الْفَجْرِ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وَأَظُنُّ فِي الْأَنْعَامِ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ آمَنُوا بِأَنَّ اللهَ يَجِيءُ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ، ذَاتُهُ لَا تُشْبِهُ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، اسْتِوَاؤُهُ لَيْسَ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ، نُزُولُهُ لَيْسَ كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ، مَجِيئُهُ كَذَلِكَ لَا يُشْبِهُ مَجِيءَ الْمَخْلُوقِينَ، فَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عِبَادَهُ لِيَفْصِلَ بَيْنَهُمْ وَيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، مَا هُوَ الْمَانِعُ؟، يَعْنِي مِنْ صِفَاتِهِ الْحَيُّ، الْحَيُّ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ، وَاللهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، فَهَلْ يَعْجِزُ اللهُ عَنِ الْمَجِيءِ، يُعْجِزُهُ الْمَجِيءُ، يُحَرِّمُونَ عَلَى اللهِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ كَمَا شَاءَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِيَفْصِلَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَسْتَبْعِدُ الْمَجِيءَ إِلَّا مِنْ جَمَادٍ، كَحَجَرٍ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتْرُكَ مَكَانَهُ مَثَلًا، وَالْحَيَوَانُ وَالذَّرَّةُ وَالنَّمْلَةُ يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَرَّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَتْ، هَلِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَقَلُّ مِنْ هَذَا وَأَعْجَزُ؟ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ، فَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُنَزِّهُوا اللهَ فَيَنْسُبُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَا يَلِيقُ، فَيَفِرُّونَ مِنَ الرَّمْضَاءِ إِلَى النَّارِ كَمَا يُقَالُ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَعَلَامَاتُهُمْ]

مَا صِحَّةُ الْقَوْلِ بِأَنَّ إِفْرَادَ الْحَاكِمِيَّةِ أَيْ جَعْلَ الْحَاكِمِيَّةِ مِنْ أَفْرَادِ التَّوْحِيدِ بِدْعَةٌ؟

الَّذِي نَعْرِفُهُ مِنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ، وَلَاسِيَّمَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَمَنْ بَعْدَهُ، وَابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَتَلَامِيذُهُ، أَنَّ أَقْسَامَ التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةٌ:

تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ

وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ

وَلَمْ يَعُدُّوا تَوْحِيدَ الْحَاكِمِيَّةِ مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ، لَمْ يَجْعَلُوا قِسْمًا رَابِعًا يُسَمَّى: تَوْحِيدَ الْحَاكِمِيَّةِ، الْحَاكِمِيَّةُ حَاكِمِيَّةُ اللهِ حَقًّا وَمَنْ يُنْكِرُهَا وَيَكْفُرُ بِهَا كَافِرٌ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، لَكِنْ هَلْ هِيَ قِسْمٌ مُسْتَقِلٌّ مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ؟ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ أَنْ تُلْحَقَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ أَوْ تُلْحَقَ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ لِي أَنَّهَا تُلْحَقُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، لِأَنَّ اللهَ الْمَالِكُ، الْمَلِكُ، الْحَقُّ، الْمُبِينُ، هُوَ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ أَنْ يَحْكُمَ وَيُشَرِّعَ، فَيُلْحَقُ -يَعْنِي لَا يُجْعَلُ قِسْمًا مُسْتَقِلًّا- وَإِنَّمَا يُلْحَقُ بِأَحَدِ الْقِسْمَيْنِ، وَأَمَّا يُجْعَلُ قَسِيمًا لِأَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الَّتِي سَبَرَهَا السَّلَفُ مِنْ كِتَابِ اللهِ سَبْرًا مُسْتَوْعِبًا فَلَمْ

يَجِدُوا إِلَّا أَنْوَاعًا ثَلَاثَةً فَاسْتَقَرُّوا عَلَيْهَا، فَهَذَا لَيْسَ مِنْهُمْ إِلْغَاءً لِحَاكِمِيَّةِ اللهِ وَإِنَّمَا فِي نَظَرِهِمْ -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ أَوْ جُزْءٌ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ لِي أَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنْ حُقُوقِ الْأُلُوهِيَّةِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ" تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَالْعُلَمَاءُ يَعْتَبِرُونَ مِنْ حُقُوقِ التَّوْحِيدِ: الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَسَائِرَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ، فَيَدْخُلُ -يَعْنِي إِذَا أَدْخَلْنَا الْحَاكِمِيَّةَ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ- فَيَكُونُ مِنْ حُقُوقِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَكَمَا قُلْتُ لَكُمْ وَيَحْتَمِلُ بِوَجْهٍ قَوِيٍّ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمِنْ حُقُوقِ الرُّبُوبِيَّةِ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: أَسْئِلَةٌ فِي الْمَنْهَجِ]

أَرْجُو تَوْضِيحَ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ” إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً “؟

إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَأَنْزَلَ الْمَاءَ فِي رَحِمِهَا فَيَكُونُ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْقُلُهُ إِلَى طَوْرٍ آخَرَ وَهِيَ عَلَقَةٌ، ثُمَّ يَنْقُلُهُ إِلَى طَوْرٍ آخَرَ -أَرْبَعِينَ أُخْرَى-مُضْغَةً، وَهِيَ مُضْغَةُ اللَّحْمِ وَالْعَلَقَةُ مِنَ الدَّمِ، فَهِيَ أَطْوَارٌ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، مِنْ نُطْفَةٍ إِلَى عَلَقَةٍ إِلَى مُضْغَةٍ إِلَى جَنِينٍ، ثُمَّ يَكْسُو الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ يُنْشِئُهُ خَلْقًا آخَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عَلَى كُلِّ حَالٍ، قَدْ يَكُونُ الْإِشْكَالُ عِنْدَ الْقَدَرِيَّةِ يَعْنِي كَوْنَهُ يَعْلَمُ سَعَادَتَهُ أَوْ شَقَاوَتَهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَهَذَا مِنْ ضَلَالِهِمْ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ ثُمَّ سَجَّلَ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، ثُمَّ هَذَا التَّسْجِيلُ مُطَابِقٌ لِمَا عَلِمَهُ اللهُ فِي الْأَزَلِ وَلِمَا سَجَّلَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهَؤُلَاءِ أُتُوا مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَاغْتِرَارِهِمْ بِعُقُولِهِمْ وَإِلَّا فَالْمَسْأَلَةُ مُسَلَّمَةٌ وَبَدِيهِيَّةٌ عِنْدَ السَّلَفِ. وَنَرْجُوا أَنْ لَا يَكُونَ السَّائِلُ مُتَأَثِّرًا بِأَفْكَارِ هَؤُلَاءِ.

[شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ]

يَقُولُ السَّائِلُ: الَّذِي لَا يُحَقِّقُ شُرُوطَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" كُلَّهَا هَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَوْ يَدْخُلُ النَّارَ؟

الَّذِي لَا يُحَقِّقُ شُرُوطَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَدْخُلُ النَّارَ, لَا بُدَّ؛ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُخْلِصٍ, إِذَا كَانَ غَيْرَ صَادِقٍ, إِذَا كَانَ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهَا؛ يَقُولُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وَيُفَسِّرُهَا بِلَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ! لَا رَازِقَ إِلَّا اللهُ! هَذَا عَلَى الْأَقَلِّ هُوَ مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ, إِنْ عَذَرْنَاهُ الْجَهْلَ. [فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الْأُولَى]

يَقُولُ السَّائِلُ: هَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ وَنَوَاقِضِ الْإِيمَانِ؟

الَّذِي يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ يَنْقُضُ الْإِيمَانَ, وَالَّذِي يَنْقُضُ الْإِيمَانَ يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ؛ مَعْنَاهُ كُفْرٌ يُخْرِجُ مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ, لَكِنْ قُلْ : هَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الشِّرْكِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ؟ يَعْنِي وَرَدَ فِي آيَاتٍ أَنَّ الْكُفْرَ يَكُونُ بِالتَّكْذِيبِ مَثَلًا, الْمُشْرِكُ قَدْ لَا يُكَذِّبُ – بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ – لَكِنْ يَتَّخِذُ مَعَ اللهِ نِدًّا ,كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ وَيُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءِ

كُلِّهَا، لَكِنْ يَتَّخِذُ مَعَ اللهِ أَنْدَادًا فَهَذَا مُشْرِكٌ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَافِرٌ لَكِنْ هَذَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ شِرْكٌ ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الْأُولَى]

شَيْخَنَا – حَفِظَكُمُ اللّٰهُ – يَقُولُ السَّائِلُ : هَلْ تَقْرِيبُ الذُّبَابِ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ؟

نَعَمْ, إِذَا تَقَرَّبَ إِلَى غَيْرِ اللهِ بِأَيِّ شَيْءٍ ذُبَابًا أَوْ غَيْرَ ذُبَابٍ؛ إِذَا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَى غَيْرِ اللهِ وَجَعَلَهُ نِدًّا لِلهِ, أَوْ تَقَرَّبَ لِغَيْرِ اللهِ بِالذَّبَائِحِ وَالنُّذُورِ فَهَذَا شِرْكٌ – لَا شَكَّ – وَاللهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾)) [النِّسَاءِ:١١٦] فَدُعَاءُ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ وَالذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ وَالنَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ وَلَوْ كَانَ حَقِيرًا يَسِيرًا, فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا يَسِيرًا لَكِنَّكَ افْتَرَيْتَ بِهِ عَلَى اللهِ وَجَعَلْتَ فِيهِ نِدًّا لِلهِ, وَهَذَا ذَنْبٌ عَظِيمٌ لَا يُغْفَرُ وَلَوْ كَانَ الشَّيْءُ الَّذِي تَتَقَرَّبُ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقِيرًا كَالذُّبَابِ أَوْ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ.

[فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الْأُولَى]

أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكُمْ ,هَذَا سَائِلٌ يَقُولُ : تَكْثُرُ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي مَحَارِيبِهَا (يَا اللّٰهُ ,يَا مُحَمَّدُ), هَلْ تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ؟

هَذِهِ الظَّاهِرَةُ رَأَيْنَاهَا فِي بَاكِسْتَانَ وَفِي أَفْغَانِسْتَانَ – مَعَ الْأَسَفِ الشَّدِيدِ – رَأَيْنَاهَا وَاللهِ فِي سَيَّارَاتِ الْمُجَاهِدِينَ؛ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ مُجَاهِدِينَ! وَهُمْ لَا يَقْبَلُونَ النَّصِيحَةَ, وَيُصِرُّونَ عَلَى هَذِهِ الشِّرْكِيَّاتِ! تَرَى فِي دَكَاكِينِهِمْ, وَفِي مَسَاجِدِهِمْ (يَا اللهُ, يَا عَلِيُّ, يَا غَوْثُ, يَا حُسَيْنُ, يَا عَبْدَ الْقَادِرِ, يَا كَذَا, يَا كَذَا) إِلَى آخِرِهِ مِنَ الشِّرْكِيَّاتِ!

الِاسْتِغَاثَةُ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ؛ تَقُولُ : "يَا مُحَمَّدُ", هَذَا شِرْكٌ بِاللهِ, مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ, عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ,إِذَا قُلْتَ: "يَا اللهُ, يَا مُحَمَّدُ" – يَعْنِي – جَعَلْتَهُ نِدًّا لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى, الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا جَاءَ إِلَّا لِهَدْمِ هَذِهِ الْوَثَنِيَّةِ وَلِيُقِيمَ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ وَعَلَى رَأْسِهَا الشِّرْكُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ, جَاءَ لِيُطَهِّرَ الدُّنْيَا وَالْقُلُوبَ وَالْأَذْهَانَ وَالْعُقُولَ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ عَزَّ

وَجَلَّ وَأَقْذَارِهِ, وَعَلَّمَنَا خَالِصَ التَّوْحِيدِ بِنُصُوصِ الْقُرْآنِ, وَنُصُوصِ السُّنَّةِ, وَبِتَطْبِيقَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ, وَأَمَرَنَا بِهَدْمِ الْقُبُورِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ,وَهَدْمِ الْأَوْثَانِ ,وَقَالَ: "لَا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ" – فَقَطْ لَا قُبُورَ وَلَا شَيْءَ – "الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ, وَمَسْجِدِي هَذَا, وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى" لِأَنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ بَنَاهَا الْأَنْبِيَاءُ لِتَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَبَدَأَ هَذَا فِي الْمَدِينَةِ -وَبِحُكْمِ أَنَّنَا نَعْرِفُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ- عَرَفْنَا كَيْدَ أَهْلِ الْبِدَعِ؛ يَكْتُبُونَ: "اللهُ ,مُحَمَّدٌ"، كَانَ وَاحِدٌ اسْمُهُ سِرَاجُ الرَّحْمَانِ زَامَلَنِي فِي الْجَامِعَةِ وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي الْحَسَنِ النَّدْوِيِّ – فَمَا أَدْرِي – رَأَيْتُ هَذَا فِي كِينْيَا أَوْ حَكَيْتُ لَهُ قِصَّةَ هَذِهِ الَّتِي بَدَأَتْ تَنْشَأُ فِي الْمَدِينَةِ, قَالَ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ النَّدْوِيُّ كَلِمَةُ "اللهُ, مُحَمَّدٌ" هَذَا كُفْرٌ؛ يَعْنِي مُحَمَّدٌ نِدٌّ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ "اللهُ: مُحَمَّدٌ" يَعْنِي سَوَاءٌ, لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ, أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ, أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ, هَذِهِ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ, وَيَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا

تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ, إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ”، فَرَأَيْتُ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ وَكُنْتُ أُحَارِبُهَا, وَإِذَا رَأَيْتُهَا فِي الْمَسْجِدِ أَنْصَحُ إِمَامَ الْمَسْجِدِ، وَفِي مَسْجِدِ الْقِبْلَتَيْنِ – مَسْجِدِ الْعَمُودِيِّ – ,كَلَّمْتُ الْإِمَامَ, مَا فَعَلَ شَيْئًا!كَلَّمْتُ الْعَمُودِيَّ صَاحِبَ الْمَسْجِدِ فَبَادَرَ جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا وَمَحَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ.

وَفِي الْمَسْجِدِ الَّذِي بِجِوَارِي فِي الْمَدِينَةِ كَتَبُوا “اللهُ ,مُحَمَّدٌ” فَنَصَحْتُ الْإِمَامَ قَالَ: نُغَيِّرُهَا, نُغَيِّرُهَا, فَتَمَاطَلَ وَلَمْ يُغَيِّرْهَا! وَكَانَ هُنَاكَ شَابٌّ جَيِّدٌ قَالَ: أَنَا أَكْفِيكَ إِيَّاهَا ثُمَّ ذَهَبَ وَغَطَّاهَا, وَانْتَهَتْ وَالْحَمْدُ لِلهِ.

الشَّاهِدُ: أَنَّ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَأَنَا قَادِمٌ مِنْ (بُطْحَانَ) وَدَاخِلٌ الْمَدِينَةَ فَإِذَا أَمَامِي سَيَّارَةُ (أُونِيتْ) فِيهَا بِالْخَطِّ الْأَحْمَرِ “يَا اللهُ ,يَا مُحَمَّدُ” فَحَرَّكْتُ سَيَّارَتِي وَرَاءَ هَذِهِ السَّيَّارَةِ فَأَسْرَعَ, فَهِمَ أَنَّنِي لَاحَظْتُهُ, أَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ وَرَاءَهُ وَطَارَدْتُهُ حَتَّى وَصَلْنَا (قُرْبَانَ) وَقَّفَ السَّيَّارَةَ وَنَزَلَ وَقَالَ: هَلْ أَمْسَحُهَا؟ وَأَنَالَمْ أُكَلِّمْهُ بَعْدُ! عَارِفٌ لِأَنَّهُ أَحَسَّ بِذَلِكَ, قُلْتُ: نَعَمِ امْسَحْهَا, فَهَذَا يُؤَكِّدُ أَنَّهُ غَزْوٌ؛ غَزْوُ هَؤُلَاءِ الْقُبُورِيِّينَ الْخُرَافِيِّينَ فِي بِلَادِ التَّوْحِيدِ!!.

أَنَا أَذْكُرُ أَنَّ أَوَّلَ مَسْجِدٍ بُنِيَ وُضِعَتْ لَهُ قُبَّةٌ فِي الْعَهْدِ السُّعُودِيِّ, فَأَنْكَرَ هَذَا طُلَّابُ الْعِلْمِ وَجَاءُوا بِالشَّيْخِ ابْنِ حُمَيْدٍ وَ..وَ..- مَا أَدْرِي كَيْفَ انْتَهَتْ عَلَى كُلِّ حَالٍ-كَانَ يَعْنِي يَعْرِفُ أَنَّ الْبِلَادَ هَذِهِ مَا فِيهَا قِبَابٌ فِي الْمَسَاجِدِ, وَحَتَّى الْمَلِكُ سُعُودٌ لَمَّا وَسَّعَ الْمَسْجِدَ هَذَا وَالْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ, لَيْسَ فِيهِمَا قِبَابٌ حَتَّى التَّوْسِعَةُ الْمَوْجُودَةُ الْآنَ لَيْسَ فِيهَا قِبَابٌ -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- عَلَى السُّنَّةِ لِأَنَّ الْقِبَابَ هَذِهِ تَقْلِيدٌ لِلنَّصَارَى؛ الْكَنَائِسُ هِيَ الَّتِي يَضَعُونَ فِيهَا مِثْلَ هَذِهِ الْقِبَابِ, وَرُبَّمَا يَضَعُونَ هَذِهِ الْقِبَابَ لِلصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَدْفِنُونَهُمْ فِي الْقُبُورِ "لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" فَتَرَى الْآنَ كَثْرَةَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُنْفَقُ عَلَيْهَا الْمَلَايِينُ يُضَعُ فِيهَا قِبَابٌ, يُضَعُ فِيهَا زَخَارِفُ – فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ – ! وَاللهِ يُمْكِنُ هَؤُلَاءِ يَا لَيْتَ الْأَمْرَ كَفَافًا لَهُمْ, لَا لَهُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ, مَلَايِينُ نَبْذُلُهَا ثُمَّ يَطْلُعُ الْمَسْجِدُ بِهَذَا الشَّكْلِ!! يُشْبِهُ الْكَنِيسَةَ, هَذِهِ مَصَائِبُ, وَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ زَخْرَفَةَ الْمَسَاجِدِ وَهَذَا أَسْوَأُ مِنَ الزَّخْرَفَةِ, فَكَانَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ عَلَى السُّنَّةِ – وَالْحَمْدُ لِلهِ – ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِي الْمَسَاجِدِ وَفِي غَيْرِهَا وَبَدَأَ أَهْلُ الْخُرَافَاتِ يَدِبُّونَ وَيَدُسُّونَ

حَاجَةً هُنَا وَمَرَّةً هُنَاكَ حَتَّى كَثُرَ هَذَا الشَّرُّ – نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ – .

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَ الْمُسْلِمِينَ لِلِاعْتِزَازِ بِهَذَا الدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْرَجَنَا بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

[فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الْأُولَى]

هُنَاكَ مَنْ يَقُولُ إِنَّا نَذْهَبُ إِلَى قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ لَا اعْتِقَادًا أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَ بَلْ ذَلِكَ كَرَامَةٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَمَا الرَّدُّ؟

لِمَاذَا تَخُصُّ الْأَوْلِيَاءَ الْمَعْبُودِينَ، أَوَّلًا تُعْطِي -إِذَا كُنْتَ مَا تَدْعُوهُمْ وَمَا تَسْتَغِيثُ- تُعْطِي حَوْلَ نَفْسِكَ شُبْهَةً، تَنْسُبُ حَوْلَ نَفْسِكَ شُبْهَةً، فَمَنْ يَرَاكَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْغَيُورِينَ تَتَرَدَّدُ عَلَى الْقَبْرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخُرَافِيُّونَ الْقُبُورِيُّونَ، يَجْعَلُكَ مِنْهُمْ، وَيَظُنُّكَ مِنْهُمْ، "فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ"، وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا كَانَ مُعْتَكِفًا وَزَارَتْهُ صَفِيَّةُ

-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- زَوْجَتُهُ، ثُمَّ لَمَّا أَرَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَخَرَجَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، يَعْنِي يَصْرِفُهَا إِلَى بَيْتِهَا، فَمَرَّ بِهِ نَفَرَانِ، رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَسْرَعَا، أَوْ جَرَيَا، فَقَالَ: "عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ"، هَذَا سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يُرِيدُ أَنْ يَنْزِعَ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَخَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا"، اعْتَذَرَ هَذَا الِاعْتِذَارَ وَقَالَ: إِنَّهَا صَفِيَّةُ، خَوْفًا عَلَيْهِمَا مِنَ الْهَلَاكِ، يُسِيئُونَ الظَّنَّ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَدَفَعَ هَذِهِ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنْقَذَهُمَا مِنْ إِلْقَاءِ نُفُوسِهِمْ فِي الْهَلَاكِ، وَيَقْذِفُ الشَّيْطَانُ فِي نُفُوسِهِمْ شَرًّا، فَأَنْتَ يَا أَخِي زُورِ الْقُبُورَ، زُورْهَا لِلِاعْتِبَارِ، أَمَّا تَتَرَدَّدُ عَلَى الْوَلِيِّ وَتَقُولُ: هَذَا إِكْرَامٌ لَهُ! هَذَا غَلَطٌ، هَذِهِ مَفْسَدَةٌ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، خَاصَّةً لَمَّا تَأْتِي تَرَى النَّاسَ يَتَمَسَّحُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ، هَلْ تُنْكِرُ أَمْ تَسْكُتُ؟ بَعْضُ النَّاسِ مَا يَسْتَطِيعُ يَأْتِي قَبْرَ الرَّسُولِ لِأَنَّهُ يَرَى الْمُنْكَرَ مَا بِيَدِهِ يُغَيِّرُهُ، أَنْتَ مَاذَا الَّذِي كَلَّفَكَ تَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْوَلِيِّ وَتَخُصُّهُ بِالزِّيَارَةِ؟ وَلَابُدَّ أَنْ تَجِدَ عِنْدَهَا مُنْكَرَاتٍ، فَإِذَا سَكَتَّ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ، ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ))، لُعِنُوا عَلَى لِسَانِ نَبِيَّيْنِ كَرِيمَيْنِ، فَأَنْتَ مَا تُغَيِّرُ الشِّرْكَ وَلَا تُنْكِرُهُ، تَقُولُ: عَادِيٌّ، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ، يَعْنِي مِنْهَا مَشَاهِدُ وَمَوَاقِعُ الضَّلَالِ وَالْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ، فَلَا يَحْضُرُ الْقُبُورَ الَّتِي تُعْبَدُ، لَا يَحْضُرُ الْمَوَالِدَ، لَا يَحْضُرُ أَمَاكِنَ الْفِسْقِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْمَرَاقِصَ وَالسِّينَمَاتِ، هَذِهِ كُلُّهَا مِنْ شُهُودِ الزُّورِ، كُلُّهَا مِنْ مَشَاهِدِ الزُّورِ وَمَجَالِسِ الزُّورِ وَمَوَاقِعِ الزُّورِ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ جِهَادٌ]

هَلْ يَجُوزُ سُؤَالُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَحَبَّتِكَ لِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الْمَحَبَّةُ، هَذَا وَصْفٌ مِنْ أَوْصَافِ اللهِ، فَالتَّوَسُّلُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ لَا يَدْخُلُ فِي التَّوَسُّلِ الْمَمْنُوعِ وَالْمُبْتَدَعِ، لَكِنْ لَوْ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحُبِّي لِنَبِيِّكَ"، فَإِنَّ هَذَا عَمَلُهُ، يَعْنِي الْمُسْلِمُ يُشْرَعُ لَهُ التَّوَسُّلُ بِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ

الَّذِينَ أَوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْآنَ إِلَّا أَنْ تَتَوَسَّلُوا إِلَى اللهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ وَتَسْأَلُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَسَأَلُوهُ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، وَاحِدٌ كَانَ يَبَرُّ أَبَوَيْهِ فَسَأَلَهُ بِبِرِّهِ لِأَبَوَيْهِ [أَنْ يُنْقِذَهُمْ] وَوَاحِدٌ سَأَلَ اللهَ [بِعِفَّتِهِ] كَانَتْ لَهُ ابْنَةُ عَمٍّ، وَاسْتَدْرَجَهَا إِلَى أَنْ جَلَسَ مِنْهَا [مَجْلِسَ الرَّجُلِ]، ثُمَّ خَلَصَتْ لِلهِ وَقَالَتِ: اتَّقِ اللهَ لَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَرَكَهَا لِلهِ وَكَانَ قَدْ أَعْطَاهَا مِئَةَ دِينَارٍ فَتَرَكَهُ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ وَأَعْطَاهُمْ أَجْرَهُمْ ثُمَّ وَاحِدٌ تَرَكَ أَجْرَهُ وَذَهَبَ فَنَمَّاهَا حَتَّى صَارَ فِيهَا مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، ثُمَّ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ قَالَ أَيْنَ أَجْرِي، قَالَ: كُلُّ مَا تَرَى أَمَامَكَ، قَالَ: تَسْخَرُ بِي، قَالَ: لَا، فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ، فَعَلَ ذَلِكَ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالتَّوَسُّلُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالتَّوَسُّلُ أَيْضًا بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّوَسُّلُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنَ التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، يُشْرَعُ التَّوَسُّلُ بِهَا وَفِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ تَوَسُّلٌ مَعْلُومٌ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ يَعْرِفُونَهُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تَوَسُّلٌ إِلَى اللهِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، ((الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)) بِرَحْمَتِهِ، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بِصِفَاتِهِ الْعَظِيمَةِ وَمُلْكِهِ الْعَظِيمِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَهُولِ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تَوَسُّلٌ إِلَى اللهِ

بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَبِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ، ثُمَّ طَلَبُ الْهِدَايَةِ، فَأَهْلُ الْبِدَعِ شَغَلَتْهُمْ بِدَعُهُمُ الشِّرْكِيَّةُ، وَبِدَعُ التَّوَسُّلِ اللَّهُمَّ بِحَقِّ فُلَانٍ اللَّهُمَّ بِجَاهِ فُلَانٍ اللَّهُمَّ بِحَقِّ الْبَدَوِيِّ بِحَقِّ فُلَانٍ ثُمَّ يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى الِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبْحِ لَهُمْ وَالنَّذْرِ لَهُمْ، فَشَغَلَتْهُمُ الْبِدَعُ الشِّرْكِيَّةُ وَغَيْرُهَا عَنْ فَهْمِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَعَنِ الْأَخْذِ بِالتَّوَسُّلِ الْمَشْرُوعِ الَّذِي جَاءَ بِهِ كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لِأَنَّ التَّوَسُّلَ دُعَاءٌ، تَطْلُبُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ أَنْ يَدْعُوَ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَتَوَسَّلُونَ إِذَا قُحِطُوا يَتَوَسَّلُونَ بِرَسُولِ اللهِ يَعْنِي يَدْعُوا لَهُمْ رَسُولُ اللهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلَكَتِ الْأَنْعَامُ وَالْمَوَاشِي فَأَدْعُ اللهَ لَنَا فَدَعَا فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَنَزَلَ الْمَطَرُ الْغَزِيرُ وَسَالَتِ الْوِدْيَانُ، وَكَانَ عُمَرُ يَتَوَسَّلُ بِالْعَبَّاسِ: "اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ بِنَبِيِّكَ وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ بِعَمِّ نَبِيِّكَ" يَعْنِي الْآنَ الرَّسُولُ مَاتَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هَذَا مِنَ الْأَدِلَّةِ إِنَّ التَّوَسُّلَ بِالنَّبِيِّ إِنَّمَا كَانَ تَوَسُّلًا بِدُعَائِهِ، وَكَانَ فِي حَيَاتِهِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الدُّعَاءَ فَيَدْعُو لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، صَلَاةُ الِاسْتِسْقَاءِ، كَمَا فِي قِصَّةِ تَبُوكَ لَمَّا نَفِذَتْ أَزْوَادُهُمْ وَهَمُّوا أَنْ يَذْبَحُوا إِبِلَهُمْ لِيَأْكُلُوا مِنْهَا، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ فِي ذَلِكَ فَأَذِنَ

لَهُمْ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ دَعَوْتَ بِأَزْوَادِهِمْ وَدَعَوْتَ فِيهَا فَيُبَارِكُ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَمَعَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِهِمْ هَذَا يَأْتِي بِتَمْرٍ وَهَذَا يَأْتِي بِحُبُوبٍ وَهَذَا بِشَعِيرٍ وَهَذَا كَذَا فَدَعَا لَهُمْ فَبَارَكَ اللهُ فِي أَزْوَادِهِمْ فَهَذِهِ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَعُلِمَ أَنَّ اللهَ بَارَكَ فِي دَعْوَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَطَلَبُوا مِنْهُ الدُّعَاءَ فِي أَنْ يُبَارِكَ فِي هَذِهِ الْأَزْوَادِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ الْمُسْلِمُونَ وَيَسْتَغْنُونَ بِهِ عَنِ الْأَبَاطِيلِ وَالْبِدَعِ الشِّرْكِيَّةِ وَ[الطُّرُقِ] الْبِدْعِيَّةِ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ جِهَادٌ]

مَا قَوْلُكُمْ فِيمَنْ يَقُولُ إِنَّ إِنْكَارَ الْقُبُورِيَّةِ أَمْرٌ ثَانَوِيٌّ؟

وَاللهِ، الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِلُ دَعْوَةَ اللهِ، وَيَنْتَمِي إِلَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَبْدَأَ بِمُحَارَبَةِ هَذِهِ الْمَظَاهِرِ الشِّرْكِيَّةِ مِنَ الْقُبُورِ وَالتَّعَلُّقِ بِهَا وَدُعَائِهَا وَالذَّبْحِ لَهَا وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهَا إِلَى آخِرِ الْقَوَائِمِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي نُسِجَتْ حَوْلَ هَذِهِ الْقُبُورِ، فَيَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ بِهَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا هِيَ سُنَّةُ اللهِ الَّتِي لَمْ تَتَخَلَّفْ فِي دَعْوَةٍ

مِنَ الدَّعَوَاتِ، يَا إِخْوَتَاهُ، إِذَا جِئْتَ إِلَى الْقُرْآنِ يَسْرُدُ لَكَ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُجْمَلَةً وَمُفَصَّلَةً، مُجْمَلَةً يَقُولُ ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ انَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)) يَعْنِي الْبَدْءَ بِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ، نَأْتِي إِلَى دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانُوا يُحَارِبُونَ الْأَوْثَانَ ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ كَانُوا رِجَالًا صَالِحِينَ، فَنَصَبُوا لَهُمْ تَمَاثِيلَ، وَالْآنَ الشَّيْطَانُ أَتَاهُمْ بِلُعْبَةٍ جَدِيدَةٍ، نَصْبُ التَّمَاثِيلِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَرُوجَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَجَاءَ مِنْ طَرِيقِ الْقُبُورِ وَتَشْيِيدِهَا، هَلِ الْقُبُورُ سَكَتَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ؟ الرَّسُولُ أَمَرَ بِهَدْمِهَا، وَنَهَى عَنْ بِنَائِهَا، وَنَهَى عَنْ تَشْيِيدِهَا، وَلَعَنَ مَنْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ شَرُّ خَلْقِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، طَبْعًا الْقُبُورُ الْإِسْلَامُ لَهُ مِنْهَا مَوْقِفٌ كَمَوْقِفِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَإِنِ احْتَالَ الشَّيْطَانُ وَرَأَى أَنَّ الْأُمَّةَ هَذِهِ لَا تَعْبُدُ الْأَوْثَانَ فَجَاءَ لَهُمْ مِنَ الْقُبُورِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ لَمْ يَتْرُكْهَا الْإِسْلَامُ، وَبَيَّنَ حُكْمَهُ فِيهَا، وَأَنَّ حُكْمَهَا لَا يَخْتَلِفُ عَنْ حُكْمِ الْأَوْثَانِ، يَجِبُ أَنْ تُهْدَمَ، وَكَانَ يُرْسِلُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيُّ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي

عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ "أَلَّا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا" فَالْوَاجِبُ عَلَى هَذِهِ الدَّعَوَاتِ أَنْ تَتَكَاثَفَ وَتَتَعَاوَنَ فِي تَطْهِيرِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمُجْتَمَعَاتِهَا مِنْ هَذِهِ الْوَثَنِيَّةِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَتَجَاهَلَهَا.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: وُجُوبُ الِاتِّبَاعِ لَا الِابْتِدَاعِ]

مَا رَأْيُكُمْ فِي هَذَا الْقَوْلِ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا لَهَبٍ أَكْثَرُ تَوْحِيدًا لِلهِ وَأَخْلَصُ إِيمَانًا بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَتَوَسَّلُونَ بِالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ؟

مَا أَحَدٌ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ! أَنَّ أَبَا جَهْلٍ أَكْثَرُ تَوْحِيدًا وَإِخْلَاصًا لِلهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَتَوَسَّلُونَ بِالْأَوْلِيَاءِ! التَّوَسُّلُ بِالْأَوْلِيَاءِ لَيْسَ شِرْكًا أَكْبَرَ وَإِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى الشِّرْكِ وَمِنَ الْبِدَعِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَكِنَّنَا لَا نَقُولُ فِيمَنْ يَتَوَسَّلُ إِنَّهُ قَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَكْثَرُ مِنْهُمْ تَوْحِيدًا وَإِخْلَاصًا وَلَكِنْ هُنَاكَ أُنَاسٌ يَسْتَغِيثُونَ بِغَيْرِ اللهِ فِي الشَّدَائِدِ وَغَيْرِهَا وَيَرْتَكِبُونَ أَنْوَاعًا مِنَ الشِّرْكِ فَهَؤُلَاءِ لَا نَقُولُ إِنَّهُمْ يَتَوَسَّلُونَ! هَذَا

كَأَنَّهُ مِسْكِينٌ مَا عَرَفَ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّوَسُّلِ وَبَيْنَ الِاسْتِغَاثَةِ، مَا عَرَفَ أَنَّ فِي هَؤُلَاءِ الْقُبُورِيِّينَ مَنْ يُشْرِكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ بَلْ مَنْ يَدَّعِي الْأُلُوهِيَّةَ! يَقُولُ شَاعِرٌ مِنْهُمْ :

وَكُنْتُ عَيْنَ وُجُودِ الْقُدْسِ فِي أَزَلٍ يُسَبِّحُ الْكَوْنُ تَسْبِيحًا لِإِجْلَالِي

مَنْ أَكْفَرُ؟, هَذَا أَمْ أَبُو لَهَبٍ وَأَبُو جَهْلٍ؟ أَبُو جَهْلٍ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ؟! هَذَا يَدَّعِي أَنَّهُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَيَعْبُدُهُ الْأُلُوفُ وَيُقَدِّسُونَهُ:

وَكُنْتُ عَيْنَ وُجُودِ الْقُدْسِ فِي أَزَلٍ يُسَبِّحُ الْكَوْنُ تَسْبِيحًا لِإِجْلَالِي

هَذِهِ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ أَحْفَظُ مِنْهَا أَبْيَاتْ,كُلُّهَا مَلِيئَةٌ بِالْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ الَّتِي لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِ أَبِي لَهَبٍ وَأَبِي جَهْلٍ – بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ – لَكِنْ لَا نَقُولُ: أَتْبَاعُهُمْ كُلُّهُمْ أَكْفَرُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ؟! لَا نَقُولُ هَذَا؛ إِنْ فِيهِمْ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ هَذَا الْكُفْرَ وَلَا يَقُولُ بِهِ وَلَا يَفْهَمُهُ, لَكِنْ يُوجَدُ فِي هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةٌ, فَهَذَا مِسْكِينٌ يَتَجَنَّى بِجَهْلِهِ عَلَى دُعَاةِ التَّوْحِيدِ وَيُحَمِّلُ كَلَامَهُمْ مَا لَا يَحْتَمِلُ, فَالَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْكَلَامَ يَعْرِفُونَ مَا يَقُولُونَ.

أَنَا أَسْأَلُ هَذَا الَّذِي كَتَبَ لِيَكُنْ شُجَاعًا فَلْيَقُلِ الْآنَ: مَنْ أَضَلُّ أَبُو جَهْلٍ وَأَبُو لَهَبٍ أَوْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ :

وَكُنْتُ عَيْنَ وُجُودِ الْقُدْسِ فِي أَزَلٍ يُسَبِّحُ الْكَوْنُ تَسْبِيحًا لِإِجْلَالِي

كُنْتُ اللهَ؟!, أَبُو جَهْلٍ وَأَبُو لَهَبٍ قَالَا هَذَا؟! ؛كُنْتُ اللهَ؟! عَيْنُ وُجُودِ الْقُدْسِ هِيَ ذَاتُ اللهِ وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ ؟؟ فِي أَزَلٍ!: يَعْنِي لَيْسَ الْآنَ, لَيْسَ مَخْلُوقٌ؛ يَعْنِي مَثَلًا لَمْ يُولَدْ سَنَةَ ١٢٠٠ وَيَتَغَوَّطُ وَيَبُولُ وَكَذَا .., لَا, هَذَا يَدَّعِي أَنَّهُ إِلَهٌ مِنَ الْأَزَلِ, يُسَبِّحُ الْكَوْنُ كُلُّهُ تَسْبِيحًا لِإِجْلَالِي، فَالْفَرْشُ وَالْعَرْشُ وَالْأَكْوَانُ أَجْمَعُهَا, الَّذِي يُصَدِّقُ هَذَا الْكَلَامَ مَا رَأْيُكَ فِيهِ؟ لَا يُصَدِّقُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَّا زِنْدِيقٌ, فَلَا نَقُولُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقُبُورِيِّينَ الَّذِينَ تُسَمِّيهِمُ الْمُسْلِمِينَ, قُبُورِيِّينَ يَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ وَيَسْتَغِيثُونَ بِغَيْرِهِ, وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَوْلِيَاءِ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ وَيَتَصَرَّفُونَ فِي الْكَوْنِ, هَذَا كُفْرٌ لَا شَكَّ أَغْلَظُ,كُفْرٌ غَلِيظٌ:

لَكُمَا بِيَحْمِلِ عَرْشِ رَبِّكَ هِمَّةٌ وَيَدٌ مِنَ الْأَيْدِي الَّتِي بَنَتِ السَّمَاءَ

وَيُحِيطُ سِرُّكُمَا الْوُجُودَ فَلَيْسَ شَيْءٌ يَخْفَى عَنْكُمَا

مَا رَأْيُكُمْ فِي هَذَا الشِّرْكِ ؟- بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ – الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ مَسْأَلَةَ عَوَاطِفَ, الْمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةُ دِينٍ, لَيْسَ مُجَرَّدَ وَاحِدٍ زِنْدِيقٍ يَقُولُ : أَنَا مُسْلِمٌ, طَيِّبٌ, فِي عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلُّونَ مَعَ الرَّسُولِ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ وَهُمْ مُنَافِقُونَ, وَالْآيَاتُ تَنْزِلُ فِيهِمْ وَالسُّوَرُ تَنْزِلُ فِيهِمْ تَفْضَحُهُمْ, فَإِذَا وَجَدْنَا شَرًّا مِنْ هَذَا الصِّنْفِ نَقُولُ: مُوَحِّدِينَ مُسْلِمِينَ ؟!

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} فِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَالنِّفَاقُ لَيْسَ خَاصًّا بِعَهْدِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعُهُودُنَا هَذِهِ مُنَزَّهَةٌ, مَا فِيهَا, نَقُولُ: عَهْدُ الرَّسُولِ أَسْوَأُ مِنْ عَهْدِنَا عَلَى هَذَا, فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَرَى وُجُودَ مُنَافِقِينَ, يُوجَدُ الْمُنَافِقُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَيُوجَدُ الْمُسْلِمُونَ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَهُمْ بِكَثْرَةٍ, لَكِنْ لَا تَخْلُو جَمَاعَةٌ مِنَ الْخُرَافِيِّينَ الْمُنَاهِضِينَ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْمُنَاهِضِينَ لِلتَّوْحِيدِ وَأَهْلِهِ, لَا يَخْلُو مِنْ هَذَا الصِّنْفِ الَّذِي وُجِدَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ وَوُجِدَ بَعْدَهُ, قَالَ حُذَيْفَةُ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ: "إِنَّ النِّفَاقَ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنْهُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ,قَالُوا:

كَيْفَ ؟ قَالَ: "كَانُوا يُخْفُونَ نِفَاقَهُمْ أَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْآنَ فَأَعْلَنُوا نِفَاقَهُمْ" ,كَيْفَ؟

وَكُنْتُ عَيْنَ وُجُودِ الْقُدْسِ فِي أَزَلٍ يُسَبِّحُ الْكَوْنُ تَسْبِيحًا لِإِجْلَالِي

فِي قَصِيدَةٍ تُنْشَرُ وَتُقْرَأُ وَكَذَا وَتُحْفَظُ كَمَا يُحْفَظُ الْقُرْآنُ, هَذَا شَرٌّ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ الَّذِي كَانَ يُخْفِي نِفَاقَهُ وَزُمَلَائِهِ؛ هَذَا أَعْلَنَ زَنْدَقَتَهُ:

لَكُمَا بِيَحْمِلِ عَرْشِ رَبِّكَ هِمَّةٌ...

يَمْدَحُ أُنَاسًا مَوْتَى, مِنْ أَضْعَفِ خَلْقِ اللهِ, وَقَدْ يَكُونُونَ مِنْ أَجْهَلِهِمْ وَأَضَلِّهِمْ! يَقُولُ فِيهِمَا:

لَكُمَا بِيَحْمِلِ عَرْشِ رَبِّكَ هِمَّةٌ...

يَعْنِي هُمْ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ,

...وَيَدٌ مِنَ الْأَيْدِي الَّتِي بَنَتِ السَّمَاءَ

مِنْ جَهْلِهِ وَضَلَالِهِ كَأَنَّهُ فَهِمَ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾. وَزَعَمُوا فِي خُرَافَاتِهِمْ وَأَسَاطِيرِهِمْ أَنَّ عَدَدًا مِنَ

الْأَوْلِيَاءِ يَقُولُونَ : وَأَيْدِينَا مَعَ تِلْكَ الْأَيَادِي؛ يَعْنِي شَارَكُوا فِي بِنَاءِ السَّمَاءِ :

وَيُحِيطُ سِرُّكُمَا الْوُجُودَ فَلَيْسَ شَيْءٌ يَخْفَى عَنْكُمَا

فَهَذَا النَّمَطُ, مَاذَا تَقُولُ فِيهِ أَيُّهَا السَّائِلُ – بَارَكَ اللهُ فِيكَ – ؟ اسْأَلْ عَلَانِيَةً وَلَا تَخَفْ, وَاللهِ مَا قَصْدُنَا إِلَّا الْحَقَّ وَلَكِنْ لَا نُرِيدُ مِثْلَ هَذَا الْأُسْلُوبِ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ.

[فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الْأُولَى]

مَا قَوْلُكُمْ فِي رَجُلٍ يَقُولُ لِمَخْلُوقٍ: "تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَيْكَ" وَ"أَعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَيْكَ".

لَا يَجُوزُ هَذَا؛ التَّوَكُّلُ يَكُونُ عَلَى اللهِ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لَا يَكُونُ التَّوَكُّلُ إِلَّا عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى, وَقَوْلُ "اعْتَمَدْتُ عَلَى اللهِ ثُمَّ عَلَيْكَ" الِاعْتِمَادُ هُوَ التَّوَكُّلُ, يَعْنِي يَضِيقُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ وَمَا يَجِدُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا هَذَا الْكَلَامَ الْفَارِغَ!!

هَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ يَقُولُونَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ثُمَّ عَلَيْكَ؟! هَذَا مِنْ دَسِّ الشَّيْطَانِ.

[فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الْأُولَى]

مَا رَأْيُكُمْ فِيمَنْ يَقُولُ: إِنَّ تَعَلُّمَ تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمَعْرِفَةَ أَقْوَالِ الْمُخَالِفِينَ وَالرُّدُودِ عَلَيْهَا لَا يُجْزِئُ، وَإِنَّمَا نَقْتَصِرُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) بَعْدَ كُلِّ ذِكْرِ اسْمٍ لِلهِ أَوْ صِفَةٍ، أَفِيدُونَا مَأْجُورِينَ

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هَذِهِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْأَشَاعِرَةُ وَالْمُعَطِّلَةُ، يُشَارِكُونَ فِيهَا أَهْلَ السُّنَّةِ، لِأَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَيُعَطِّلُونَ الْعُلُوَّ وَالنُّزُولَ وَالْمَجِيءَ وَالرِّضَا وَالْغَضَبَ وَ...، الصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ كُلُّهَا يُعَطِّلُونَهَا، فَمَا يَظْهَرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ، فَلَابُدَّ التَّحْذِيرُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، لَابُدَّ أَنْ يُبَيِّنَ مَاذَا عِنْدَهُمْ وَيُحَذِّرَهُمْ وَيُحَذِّرَ مِنْهُمْ، وَلَابُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَةِ الْبَاطِلِ

إِلَى جَانِبِهِ تَأَسِّيًا بِالْقُرْآنِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ عَقَائِدَ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَانْتَقَدَهَا وَذَكَرَ عَقَائِدَ النَّصَارَى فِي عِيسَى وَقَالَ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ مَا قَالَ [احْذَرُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَإِنَّمَا ذَكَرَ كَثِيرًا مِنْ عَقَائِدِهِمْ] فَلَازِمٌ بَيَانُ فَسَادِ أَهْلِ الضَّلَالِ، لِأَنَّ أَهْلَ الضَّلَالِ عِنْدَهُمْ دَعْوَةٌ وَعِنْدَهُمْ نَشَاطٌ وَلَاسِيَّمَا فِي هَذَا الْعَصْرِ عِنْدَهُمْ وَسَائِلُ كَثِيرَةٌ، الْآنَ رَوَافِضُ وَصُوفِيَّةٌ وَ..إلخ، يَعْنِي الْمَسَاجِدَ وَالْمَنَابِرَ وَالْكُتُبَ وَالصُّحُفَ وَالْانْتَرْنِتَ وَيَنْشُرُونَ بِدَعَهُمْ وَضَلَالَهُمْ فِي كُلِّ الْوَسَائِلِ وَعَلَى كُلِّ الْأَصْعِدَةِ كَمَا يُقَالُ، فَنُعَلِّمُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يَكْفِي؟ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، هَؤُلَاءِ أَهْلُ بِدَعٍ، أَوْ مُحَامِينَ عَنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَيَفُضُّ مَضَاجِعَهُمْ دِرَاسَةُ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَكَمْ قَدْ حَارَبُوا دِرَاسَةَ الطَّحَاوِيَّةِ بِأَسَالِيبَ سَيِّئَةٍ جِدًّا، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، مِنَ التَّشْوِيهِ وَالتَّنْفِيرِ وَإِلَى آخِرِهِ، سَنَوَاتٍ، لَابُدَّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَعَلَّمَ – بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ-، مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَمَا يُضَادُّهُ مِنْ ضَلَالَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَغَيْرِهِمْ، مِنْ بَابِ عَرَفْتُ الشَّرَّ لِأَتَّقِيَهُ، وَمِنْ بَابِ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ: كَانَ النَّاسُ

يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ أَقَعَ فِيهِ”.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: جَلْسَةٌ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ]

مَنْ يَقُولُ اللّٰهُ لَهُ مَعِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ تَلِيقُ بِجَلَالِهِ مِثْلَ النُّزُولِ وَنَحْوِهِ مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؟

انْظُرُوا يَا إِخْوَةُ, أَرِيحُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ, فَسَّرَ السَّلَفُ الْمَعِيَّةَ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بِالِاطِّلَاعِ وَالْمُشَاهَدَةِ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فَهَذِهِ مَعِيَّةُ عِلْمٍ وَاطِّلَاعٍ وَمُشَاهَدَةٍ, يَرَاهُمْ وَيَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ وَيَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَهَذِهِ مَعِيَّةُ عِلْمٍ وَاطِّلَاعٍ, هَذَا يَكْفِينَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، لِأَنَّنَا إِذَا تَجَاوَزْنَا هَذَا الْحَدَّ دَخَلْنَا فِي مَشَاكِلَ.

وَالْمَعِيَّةُ غَيْرُ النُّزُولِ؛ النُّزُولُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا يُرِيدُ وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ مَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ لِأَنَّ نُزُولَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ.

[فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الْأُولَى]

هَلِ الْكَلَامُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ فَقَطْ أَمْ ذَاتِيَّةٌ وَقَوْلِيَّةٌ؟

ذَاتِيَّةٌ وَقَوْلِيَّةٌ هُوَ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ وَبِمَا شَاءَ ذَاتِيَّةٌ وَقَوْلِيَّةٌ.

يَقُولُ: هَذَا الْكَلَامُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ فَقَطْ؟ الْكَلَامُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ، هُوَ قَوْلُ الْأَشْعَرِيَّةِ، الْكَلَامُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالذَّاتِ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ وَصَوْتٍ، فَقَطْ يَقُولُونَ: الْكَلَامُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ، لَكِنْ يَتَكَلَّمُ؟ لَا.

أَهْلُ السُّنَّةِ: الْكَلَامُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى الْكَلَامِ وَيَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ وَإِذَا شَاءَ، وَإِلَى أَيِّ دَرَجَةٍ؟ (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا).

قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي الْقَدَرِ "وَأَنْ لَا يُخَاصِمَ أَحَدًا وَلَا يُنَاظِرَهُ، وَلَا يَتَعَلَّمَ الْجِدَالَ" مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ الصِّغَارِ

مَنْ يَذْهَبُ يُنَاظِرُ فِي الْقَدَرِ الرَّوَافِضَ، مَعَ الْجَهْمِيَّةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، يُنَاظِرُهُمْ فِي الْقَدَرِ، يُنَاظِرُهُمْ فِي هَذِهِ الْقَضَايَا، لَا تُعَرِّضْ نَفْسَكَ لِلشُّبُهَاتِ وَالضَّيَاعِ، لَكِنِ الْعَالِمُ الْمُتَمَكِّنُ الَّذِي يَعْرِفُ أَنَّهُ يَنْفَعُ بِهَذِهِ الْمُنَاظَرَةِ، إِمَّا يَنْصُرُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَيَقْمَعُ أَهْلَ الْبَاطِلِ، وَإِمَّا أَنْ يَهْدِيَ اللهُ هَذَا الَّذِي يُنَاظِرُهُ، إِذَا كَانَ طَالِبَ هُدًى يُبَيِّنُ لَهُ.

أَمَّا أَنْتَ الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ الضَّعِيفُ، فَلَا تُجَادِلْ، فَأَنَا أُؤَكِّدُ هَذَا عَلَى طُلَّابِ الْعِلْمِ، أَنَّكَ لَا تُجَادِلُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْبِدَعِ الْغَلِيظَةِ، يَعْنِي الْأُمُورَ الَّتِي تَعْرِفُهَا وَفِي حُدُودِ طَاقَتِكَ وَتَكُونُ وَتَكُونُ هَاضِمًا لَهَا مِنَ الْأُمُورِ الْعَادِيَّةِ لَا بَأْسَ، إِذَا كَانَ لَيْسَ الْغَرَضُ الْجِدَالَ وَالْغَلَبَةَ وَإِنَّمَا الْقَصْدُ الْبَيَانُ وَالتَّوْضِيحُ.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

[شَرْحُ أُصولِ السُّنَّةِ]

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمَعْنَى النَّفْسِيُّ، وَالْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ

اللهِ ؟

كُلُّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ الْمَعْنَى النَّفْسِيُّ! وَهَذَا أَصْلُهُ كَلَامُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ وَهَذِهِ الْحُرُوفُ وَالْكَلِمَاتُ عِنْدَهُ لَيْسَتْ كَلَامَ اللهِ بَلْ هِيَ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ! الْأَشْعَرِيُّ قَالَ مِثْلَهُ؛ أَنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْكَلَامُ النَّفْسِيُّ وَهُوَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ, وَ إِنَّمَا هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ, فَكِلَاهُمَا يَشْتَرِكُ فِي الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ أَوْ كَلَامَ اللهِ مَعْنًى نَفْسِيٌّ قَائِمٌ بِذَاتِهِ, وَهَذِهِ الْحُرُوفُ وَالْكَلِمَاتُ مَخْلُوقَةٌ فَجَاءُوا بِهَذَا الضَّلَالِ!

وَكُلُّ هَذَا كَلَامٌ فَارِغٌ, الْكَلَامُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَائِمَةِ بِذَاتِهِ وَلَكِنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ وَإِذَا شَاءَ – سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى – بِكَلَامٍ يَسْمَعُهُ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ يَسْمَعُهُ مِنْهُ جِبْرِيلُ، وَيُبَلِّغُهُ إِلَى عِبَادِهِ .{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا}. وَسَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ.

فَالْكَلَامُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ, وَلَكِنَّهَا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ وَ بِمَا شَاءَ كَمَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ ” الْكَلَامُ قَدِيمُ النَّوْعِ حَادِثُ الْآحَادِ

“, حَادِثُ الْآحَادِ بِمَعْنَى مَتَى شَاءَ تَكَلَّمَ, قَدِيمُ النَّوْعِ بِمَعْنَى صِفَةٌ كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللهِ تَعَالَى.

[فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الْأُولَى]

كَلِمَاتُ اللّٰهِ هَلْ هِيَ الْقُرْآنُ أَمْ كُلُّ كَلَامِهِ؟

بَلْ كُلُّ كَلَامِهِ لِأَنَّ النَّصَّ (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ اللَّهِ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ اللَّهِ) تَشْتَمِلُ كَلَامَهُ كُلَّهُ الْقَوْلِيَّ وَالْقَدَرِيَّ وَالشَّرْعِيَّ وَالْقُرْآنُ مِنْهُ.

[فَتَاوَى فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَلْقَةُ الثَّانِيَةُ]

مَقَالَةٌ مُفَادُهَا عِلْمُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ عُلُومِ الْآلَةِ فَلَا يَنْبَغِي التَّرْكِيزُ عَلَيْهِ ، كَمَا يُقَالُ، عَلَى التَّرْكِيزِ عَلَى عِلْمِ الْعَقِيدَةِ وَغَيْرِهَا

جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا، [أَنَا لَا أَعْرِفُ مَنْ يَسْتَطِيعُ] أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ، أَوْ عِنْدَهُ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي تُخَوِّلُ لَهُ التَّكَلُّمَ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ،

الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ يُحْمَى بِهِ الدِّينُ وَيَحْفَظُ اللهُ بِهِ الدِّينَ، كُتُبُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ كَمْ؟ كَيْفَ نَعْرِفُ الصَّحِيحَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَوْضُوعَ وَالْمُعَلَّلَ وَغَيْرَهَا؟، كُلُّهَا بِهَذَا الْعِلْمِ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، هُوَ عِلْمٌ عَظِيمٌ مَا يُقَالُ فِيهِ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ، هَذَا تَقْلِيلٌ مِنْ شَأْنِهِ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْعُلُومِ، وَمِنْ أَعْمَقِهَا، وَمِنْ أَنْفَعِهَا، وَحِينَمَا تَرَى الْعُلَمَاءَ يَمْدَحُونَ عِلْمَ الْعِلَلِ، هُوَ جَانِبٌ، لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَهُوَ جَانِبٌ مِنْ جَوَانِبِ عُلُومِ الْحَدِيثِ، كَيْفَ يَمْدَحُونَهُ وَيَمْدَحُونَ النُّقَّادَ الْكِبَارَ الَّذِينَ يَتَمَيَّزُونَ بِمَعْرِفَةِ عِلْمِ الْحَدِيثِ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: هَدْمُ قَوَاعِدِ الْمُلَبِّسِينَ]

شَيْخَنَا الْفَاضِلَ: لِمَاذَا اخْتَرْتُمْ مَنْهَجَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ طَرِيقًا مَعَ أَنَّهُ فِي نَظَرِ كَثِيرٍ مِنَ الدُّعَاةِ وَالْمُصْلِحِينَ يَعُدُّونَهُ سَبَبًا فِي تَفَكُّكِ الْأُمَّةِ وَسَبِيلًا

إِلَى بُغْضِ مَنْ يَنْحُو هَذَا الْمَنْحَى، مُحْتَجِّينَ بِأَنَّ زَمَنَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ قَدِ انْتَهَى مَعَ زَمَنِ الرِّوَايَةِ؟

أَنَا لَمْ أَخْتَرْ مَنْهَجَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَإِنَّمَا أَنَا نَاقِدٌ، رَأَيْتُ بِدَعًا كَثِيرَةً وَضَلَالَاتٍ وَطَوَامَّ تُلْصَقُ بِالْإِسْلَامِ، فَبَذَلْتُ جُهْدِي، وَفِي حُدُودِ طَاقَتِي -مَعَ عَجْزِي وَضَعْفِي- لِنَفْيِ هَذَا الْبَاطِلِ عَنِ الْإِسْلَامِ الَّذِي أُلْصِقَ بِهِ ظُلْمًا وَزُورًا، لِأَنَّ الْبِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ وَالِانْحِرَافَاتِ مِنْ دُعَاةٍ يَنْتَمُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ لَا سِيَّمَا فِي عَهْدِ الْغُلُوِّ وَالْإِطْرَاءِ، يَعْنِي تُلْصَقُ بِالْإِسْلَامِ وَتُنْسَبُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَعَمِلْتُ هَذَا لِنَفْيِ هَذَا الْبَاطِلِ عَنِ الْإِسْلَامِ.

سُمِّيَ جَرْحًا أَوْ تَعْدِيلًا أَوْ سُمِّيَ مَا سُمِّيَ، أَنَا مَا أُجَرِّحُ إِنَّمَا أَنْتَقِدُ كَلَامًا بَاطِلًا، وَأُبَيِّنُ مُنَافَاتَهُ لِلْإِسْلَامِ -بَارَكَ اللهُ فِيكَ- بِالْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ، وَمُخَالَفَاتِهِ لِلْعَقَائِدِ، وَمُخَالَفَاتِهِ لِلْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ، أُبَيِّنُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تُعْتَبَرُ فِقْهًا فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ.

سَمَّى بَعْضُ النَّاسِ ذَلِكَ جَرْحًا وَتَعْدِيلًا، طَبْعًا قَدْ يَدْخُلُ شَيْءٌ مِنَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ خِلَالَ هَذَا النَّقْدِ.

فَأَنَا مَا أُسَمِّي نَفْسِي مُجَرِّحًا مُعَدِّلًا، إِنَّمَا أُسَمِّي نَفْسِي نَاقِدًا، نَاقِدًا ضَعِيفًا مِسْكِينًا، وَمَا دَخَلْتُ بُحْبُوحَةَ هَذَا النَّقْدِ -بَارَكَ اللهُ فِيكَ- إِلَّا لِأَنَّ النَّاسَ انْصَرَفُوا إِلَى أَشْيَاءَ أُخْرَى مِنْ جَوَانِبِ الْإِسْلَامِ يَخْدُمُهَا الْإِسْلَامُ.

وَهَذَا يُيَسَّرُ وَكُلُّهَا خِدْمَاتٌ تُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

هَذَا يَتَّجِهُ إِلَى بَابِ النَّقْدِ، وَذَاكَ يَتَّجِهُ إِلَى تَصْحِيحِ الْأَحَادِيثِ، وَلَا نَلُومُ هَذَا وَلَا ذَاكَ.

هَذَا مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنِ الْبَاقِينَ، فَهَذَا يَقُومُ بِالْفَرْضِ فِي هَذَا الْجَانِبِ، الْفَرْضِ الْكِفَائِيِّ، وَهَذَا يَقُومُ بِالْفَرْضِ الْكِفَائِيِّ فِي هَذَا الْجَانِبِ، فَهَذَا يُؤَلِّفُ فِي الْعَقِيدَةِ، وَهَذَا يُؤَلِّفُ فِي السُّنَّةِ، يُصَحِّحُ وَيُضَعِّفُ، وَيَتَفَقَّهُ، وَالنَّتِيجَةُ كُلُّهَا يُكَمِّلُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ التَّبْلِيغَ وَالْإِخْوَانَ وَالْجَمَاعَاتِ هَذِهِ يُكَمِّلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، هَذِهِ مُغَالَطَاتٌ وَخَطَأٌ، خَطَأٌ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ، وَمُغَالَطَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالضَّلَالِ، فَإِنَّ الْبِدْعَةَ لَا تُكَمِّلُ الْإِسْلَامَ أَبَدًا.

فَإِذَا كَانَ هَذَا جَنَّدَ نَفْسَهُ لِرَفْعِ رَايَةِ الْبِدْعَةِ وَنُصْرَتِهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَالْآخَرُ مِثْلُهُ، وَالْآخَرُ مِثْلُهُ، فَإِنَّ هَذِهِ لَا نَرَى إِلَّا أَنَّهَا هَدْمٌ لِلْإِسْلَامِ، وَلَا تُكَمِّلُ مِنَ الْإِسْلَامِ شَيْئًا وَإِنَّمَا تُنَقِّصُهُ وَتُشَوِّهُهُ.

وَقَوْلُهُ: انْتَهَى عَهْدُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ! هَذَا كَذِبٌ، مَا انْتَهَى مَنْهَجُ النَّقْدِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْهَجُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لَمْ يَنْتَهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَا دَامَتْ تُوجَدُ الْبِدَعُ وَتُوجَدُ الشِّعَارَاتُ الضَّالَّةُ، وَلَهَا دُعَاةٌ وَأَئِمَّةُ ضَلَالٍ لَمْ يَنْتَهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الْجِهَادِ، بَلْ أَفْضَلُ مِنَ الضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ.

وَعَهْدُ الرِّوَايَةِ انْتَهَى فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ فَلِمَاذَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَفَعَ رَايَةَ النَّقْدِ وَرَايَةَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ؟! وَهَكَذَا الذَّهَبِيُّ وَابْنُ الْقَيِّمِ وَابْنُ حَجَرٍ وَإِلَى آخِرِهِ وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

مَا دَامَ هُنَاكَ صِرَاعٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، فَلَابُدَّ مِنْ سَلِّ سُيُوفِ النَّقْدِ وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَهُمْ أَخْطَرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ، وَأَوْلَى بِالْجَرْحِ مِنَ الرُّوَاةِ الَّذِينَ يُخْطِئُونَ شَرْعًا وَعَقْلًا.

هَؤُلَاءِ يَخْتَرِعُونَ بِدَعًا وَيَتَعَمَّدُونَ بَثَّهَا فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ.

وَأَمَّا الرُّوَاةُ، فَالْكَذَّابُونَ قَلِيلُونَ وَمَحْصُورُونَ، وَالْبَقِيَّةُ أُنَاسٌ طَيِّبُونَ يُخْطِئُونَ فَمَا سَكَتُوا عَنْهُمْ.

فَإِذَا كَانَ قَدِ انْتَهَى عَهْدُ الرِّوَايَةِ فَعَهْدُ النَّقْدِ لَمْ يَنْتَهِ، نَقْدُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَتَجْرِيحُهُمْ، وَبَيَانُ ضَلَالِهِمْ وَخُطُورَتِهِمْ، وَهَذَا مُسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ جِهَادٌ.

[الْأَجْوِبَةُ عَلَى أَسْئِلَةِ أَبِي رَوَاحَةَ الْمَنْهَجِيَّةِ]

يَقُولُ السَّائِلُ هَلِ الْقَاعِدَةُ الَّتِي تَقُولُ: "الْجَرْحُ الْمُفَسَّرُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ الْمُبْهَمِ" مُجْمَعٌ عَلَيْهَا عِنْدَ عُلَمَاءِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَهَلْ يُمْكِنُ تَطْبِيقُهَا عَلَى الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَدَّلُوا هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ وَبَعْضَهُمْ جَرَّحُوهَا

فَهَلْ تُقَدِّمُ الْمُجَرِّحَ عَلَى الْمُعَدِّلِ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ زِيَادَةُ عِلْمٍ

نَعَمْ، هَذَا الْمَنْهَجُ قَائِمٌ وَمُسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ، لِأَنَّهُ مَنْهَجٌ إِسْلَامِيٌّ صَحِيحٌ تَقُومُ عَلَيْهِ حَيَاةُ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقُومُ عَلَيْهَا دِينُهُمْ، وَيُحْمَى بِهَا دِينُهُمْ، وَتُحْمَى بِهَا أَعْرَاضُهُمْ، وَتُحْمَى بِهَا أَمْوَالُهُمْ، هَذَا مَنْهَجٌ عَظِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ، لَا يَحُطُّ مِنْ شَأْنِهِ إِلَّا إِنْسَانٌ مُنْحَرِفٌ، فَاسِدُ التَّصَوُّرِ وَالتَّفْكِيرِ، فَنَعَمْ، هَذَا الْمَنْهَجُ الْآنَ مَاشٍ فِي الْجَمَاعَاتِ، وَقَدْ يُزَكِّي الرَّجُلُ -وَهُوَ فَاضِلٌ- بِنَاءً عَلَى الظَّاهِرِ وَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ مَا عَلَيْهِ هَذَا الْقَوْمُ، فَيَأْتِي إِنْسَانٌ يَدْرُسُ كُتُبَهُمْ وَيَدْرُسُ وَاقِعَهُمْ فَيَجِدُ أَنَّ هَذَا الَّذِي زَكَّاهُمْ قَدْ وَقَعَ فِي خَطَأٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي، فَزَكَّاهُمْ بِنَاءً عَلَى الظَّاهِرِ، هَذَا شَيْءٌ حَصَلَ لِلْأَئِمَّةِ الْكِبَارِ، فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ [عَدَّلَهُ] الْإِمَامُ أَحْمَدُ فَقَالَ تَلَامِيذُهُ الَّذِينَ لَا يَصِلُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِهِ، عَرَفُوا مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ وَمَا فِيهِمْ مِنْ قَدْحٍ وَمَا فِيهِمْ مِنْ جَرْحٍ فَأَسْقَطُوهُمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ زَكَّاهُمْ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ، وَزَكَّى الشَّافِعِيُّ أُنَاسًا وَجَرَّحَهُمْ آخَرُونَ، وَقُدِّمَ جَرْحُ هَؤُلَاءِ -الْمُفَسَّرُ الْقَائِمُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ- عَلَى أَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ زَكَّوْا بِنَاءً عَلَى مَا ظَهَرَ لَهُمْ،

فَالْيَوْمَ يَعْنِي قَدْ يَأْتِي إِنْسَانٌ يَدَّعِي أَنَّهُ طَلَبَ الْعِلْمَ وَيَتَظَاهَرُ بِالدِّينِ وَالنُّسُكِ وَالْأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ وَيَجْلِسُ وَيَمْكُثُ أَيَّامْ فَتَبْنِي عَلَى الظَّاهِرِ، أَنَا وَاللهِ زَكَّيْتُ أُنَاسًا فِي هَذَا الْعَامِ، وَاللهِ لَازَمُونِي وَمَا شَاءَ اللهُ تَنَسُّكٌ وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا...، ثُمَّ ظَهَرَ لِي جَرْحُهُمْ، أَنَا إِذَا صَلَّى مَعِي وَزَكَّى وَذَكَرَ اللهَ وَسَافَرَ مَعِي وَإِلَخْ، أَشْهَدُ بِمَا رَأَيْتُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا، لَكِنْ يَأْتِي إِنْسَانٌ آخَرُ عَرَفَهُ أَكْثَرَ مِنِّي، وَأَكْتَشَفَ عَلَيْهِ أَخْطَاءً وَاكْتَشَفَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ تَقْدَحُ فِي عَدَالَتِهِ، فَيُجَرِّحُهُ بِعِلْمٍ وَيُبَرْهِنُ عَلَى جَرْحِهِ بِالْأَدِلَّةِ وَيُفَسِّرُ جَرْحَهُ، فَيُقَدَّمُ جَرْحُهُ عَلَى تَعْدِيلِي، وَأَنَا اسْتَسْلَمْتُ، قَدَّمَ الْأَدِلَّةَ عَلَى جَرْحِ هَذَا الْإِنْسَانِ، خَلَاصْ الْحَقُّ مَعَهُ.

فَجَمَاعَةٌ يَعْنِي جَاءُوا عِنْدَ عَالِمٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَقَالُوا وَاللهِ نَحْنُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَنَدْعُوا إِلَى التَّوْحِيدِ وَنُحَارِبُ الشِّرْكَ وَنُحَارِبُ الْقُبُورِيَّةَ وَكَذَا وَكَذَا، وَرَأَيْتُ فِيهِمُ الصَّلَاحَ كَتَبْتُ لَهُمْ إِلَى مَنْ يُعَاوِنُهُمْ فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ الرَّسُولِ، ثُمَّ رَاحَ نَاسٌ مَعَهُمْ خَالَطُوهُمْ عَاشَرُوهُمْ -مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ- فَوَجَدُوا أَنَّ الْحَقِيقَةَ تَخْتَلِفُ تَمَامًا، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بِدَعٍ وَأَنَّهُمْ صُوفِيَّةٌ وَأَنَّهُمْ خُرَافِيُّونَ، وَقَدَّمَ الْأَدِلَّةَ عَلَى مَا يَقُولُ فَيُصَدَّقُ وَيُقَدَّمُ عَلَى

تَعْدِيلِي أَوْ تَعْدِيلِ هَذَا الْعَالِمِ، هَذِهِ قَاعِدَةٌ مُضْطَرِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ -إِنْ شَاءَ اللهُ- فِي الْأَفْرَادِ وَفِي الْجَمَاعَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ:أَسْئِلَةٌ فِي الْمَنْهَجِ]

هَلْ يَجِبُ عَلَى الْعَالِمِ ذِكْرُ الْجَرْحِ فِي شَخْصٍ مُعَيَّنٍ أَمْ أَنَّهُ الْأَمْرُ فِيهِ تَفْصِيلٌ؟

لَا يَجِبُ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ يَتَكَلَّمُونَ وَلَا يُبَيِّنُونَ السَّبَبَ، عَالِمٌ بِأَسْبَابِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَهُوَ عَالِمٌ وَثِقَةٌ وَمَوْضِعُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ: فُلَانٌ جَهْمِيٌّ، فُلَانٌ مُرْجِئٌ، فُلَانٌ سَيِّءُ الْحِفْظِ، فُلَانٌ كَذَّابٌ فُلَانٌ مُتَّهَمٌ، فُلَانٌ كَذَا، فَنُعْطِي لَهُ دَائِمًا الْحَقَّ، إِذَا عَارَضَهُ عَالِمٌ آخَرُ حِينَئِذٍ يُبَيِّنُ السَّبَبَ، سَبَبَ الْجَرْحِ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فَإِذَا بَيَّنَ سَبَبَ الْجَرْحِ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُخَالِفَهُ، إِذَا بَيَّنَ سَبَبَ الْجَرْحِ فَلَا يُخَالِفُهُ إِلَّا مُعَانِدٌ صَاحِبُ هَوًى، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، وَقَدْ تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- وَفَصَّلُوا فِيهِ

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: هَدْمُ قَوَاعِدِ الْمُلَبِّسِينَ]

طَالِبُ عِلْمٍ كَانَ مُزَكًّى وَجَرَّحَ أَشْخَاصًا ثُمَّ جُرِحَ طَالِبُ الْعِلْمِ هَذَا فَهَلْ تَجْرِيحُهُ لِأُولَئِكَ الْأَشْخَاصِ يَسْقُطُ؟

يُنْظَرُ فِي حَالِ الْقَوْمِ، إِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا يَقْتَضِي الْجَرْحَ فَطَبْعًا لَا يَنْفَعُهُمْ -يَعْنِي- سُقُوطُ هَذَا، جَرَحَهُمْ مِنْ أَجْلِ مَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ مَثَلًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ فَبَقُوا عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ، فَإِذَا هَذَا نَفْسُهُ وَقَعَ فِي مِثْلِ مَعْصِيَتِهِمْ أَوْ وَقَعَ فِي بِدْعَةٍ وَأَصْبَحَ مَجْرُوحًا وَهُمْ ثَابِتُونَ عَلَى مَا جُرِحُوا بِهِ، مَا يَسْقُطُ عَنْهُمُ الْجَرْحُ، إِنْ كَانَ كَذَّابًا فَلَا يَضِيرُهُمْ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي حَالِ جَرْحِهِ وَبَقُوا مُتَشَبِّثِينَ بِتِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي جُرِحُوا بِهَا فَهُمْ مَجْرُوحُونَ، وَإِذَا مَا جَرَحَهُمْ هَذَا يَجْرَحُهُمْ غَيْرُهُ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ جِهَادٌ]

هَلْ صَحِيحٌ أَنَّنَا لَا نَقْبَلُ الْجَرْحَ لِأَحَدٍ حَتَّى نَرَى الْجَرْحَ وَنَقَعَ عَلَيْهِ؟

يَعْنِي هَذَا مَنْهَجُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَاطِلُ، يَعْنِي يُرِيدُ أَنْ يُسْقِطَ أَحْكَامَ الْعُلَمَاءِ وَفَتَاوَاهُمْ وَنَقْدَهُمْ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ بِهَذِهِ السَّفْسَطَةِ، وَبِهَذَا الْمَنْهَجِ الشُّيُوعِيِّ، هَذَا الْمَنْهَجُ مُشْتَقٌّ مِنَ الشُّيُوعِيَّةِ، لِأَنَّ الشُّيُوعِيَّ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا بِمَا يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ، وَمَذْهَبِ [الشَّمَالِيَّةِ] الَّذِينَ قَدْ يُكَابِرُونَ فِي الْمَحْسُوسَاتِ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، اللهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، فَإِذَا كَانَ الْمُخْبِرُ فَاسِقٌ لَا تَرُدَّ كَلَامَهُ، تَبَيَّنْ، قَدْ يَكُونُ حَقًّا، فَإِذَا كَانَ ثِقَةً حَافِظٌ مُتْقِنٌ فَيَجِبُ قَبُولُ خَبَرِهِ حَتَّى لَوْ تَحَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ فَقَطْ عَنِ النَّاسِ، لِأَنَّ اللهَ مَا حَذَّرَنَا إِلَّا مِنْ قَبُولِ أَخْبَارِ الْفُسَّاقِ، لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْبَاطِلِ وَإِلَى ظُلْمِ النَّاسِ ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فَلَا تُصِيبُوا النَّاسَ بِجَهَالَةٍ، تَثَبَّتْ، التَّثَبُّتُ أَلَّا تَقْبَلَ الْحَقَّ الْخَبَرَ وَتُسَلِّمَ بِهِ وَتُصَدِّقَهُ إِلَّا إِذَا جَاءَكَ رَجُلٌ مِنَ الثِّقَاتِ، فَإِذَا جَاءَ عَنْ طَرِيقِ الثِّقَاتِ فَأَنْتَ مُتَثَبِّتٌ، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْآنَ عِنْدَهُمْ مَنْهَجٌ خَبِيثٌ، وَأَصَّلُوا لَهُ عَدَدًا مِنَ الْأُصُولِ لِيَرُدُّوا بِهِ الْحَقَّ وَيُدَافِعُوا بِهِ عَنِ

الْبَاطِلِ، بِهَذِهِ الْأُصُولِ يُدَافِعُونَ عَنِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، فَأُسِّسَتْ لِلدِّفَاعِ عَنْ سَيِّدِ قُطْبٍ وَأَمْثَالِهِ، وَلِهَذَا تَرَاهُ تَمُرُّ عَلَيْهِ السَّنَوَاتُ الطَّوِيلَةُ وَهُوَ يُجَادِلُكَ بِالْبَاطِلِ وَالسَّفْسَطَةِ، وَالْحَقُّ مَاثِلٌ أَمَامَ عَيْنَيْكَ، ظَاهِرٌ كَالشَّمْسِ، لَكِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى السَّفْسَطَةِ وَالتَّلْبِيسَاتِ حَتَّى لَا يَسْقُطَ رَمْزُهُ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، هَؤُلَاءِ يُسَمُّونَهُمْ رُمُوزْ عَلَى طَرِيقَةِ الْبَاطِنِيَّةِ يُسَمُّونَهُمْ رُمُوزْ، رُمُوزُ الْحَرَكَةِ، يُدَافِعُونَ عَنْ رُمُوزِ الْحَرَكَةِ بِهَذِهِ السَّفْسَطَاتِ وَيُشَوِّشُونَ عَلَى ذَلِكَ الْمَنْهَجِ الْعَظِيمِ: مَنْهَجِ النَّقْدِ وَمَنْهَجِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَيُشَوِّشُونَ عَلَى قَوَاعِدِهِ بِمِثْلِ هَذِهِ التَّشْوِيشَاتِ، هَذِهِ الْقَاعِدَةُ: "لَا أُسَلِّمُ بِشَيْءٍ حَتَّى أَسْمَعَ مِنْ صَاحِبِهِ أَوْ أَرَاهُ بِعَيْنِي" أَوْ كَمَا قَالُوا، كُلُّ هَذَا مِنَ الْأُصُولِ الْفَاسِدَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي يَحْمُونَ بِهَا أَهْلَ الْبَاطِلِ وَيُحَارِبُونَ بِهَا أَهْلَ السُّنَّةِ وَيُشَوِّشُونَ بِهَا عَلَى الْبُسَطَاءِ مِنَ النَّاسِ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: السَّيْرُ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ]

بَعْضُ الدُّعَاةِ لَا تُعْرَفُ لَهُمْ سَلَفِيَّةٌ وَقَدْ حُذِّرَ مِنْهُمْ وَمَا زَالَ هُنَاكَ مَنْ يُجَالِسُ أُولَئِكَ الدُّعَاةَ بِحُجَّةِ أَنَّهُ

لَمْ يُجْرَحْ بِجَرْحٍ مُفَصَّلٍ وَقَدْ زُكُّوا مِنْ قِبَلِ الشَّيْخِ الْعَبَّادِ وَغَيْرِهِ، فَانْقَسَمَ الْإِخْوَةُ بَيْنَ مُجَرِّحٍ وَمُعَدِّلٍ لِأُولَئِكَ الدُّعَاةِ فَمَا قَوْلُكُمْ لَهُمْ؟

قَوْلِي: يَجِبُ عَلَى هَذَا الشَّخْصِ الَّذِي يَخْتَلِفُ حَوْلَهُ النَّاسُ وَلَا يُزَكِّي نَفْسَهُ بِإِبْرَازِ الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُ عَلَى تَزْكِيَةِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ, وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ فِي تَزْكِيَاتِهِمْ, فَقَدْ يُزَكُّونَ بِنَاءً عَلَى ظَاهِرِ حَالِ الشَّخْصِ الَّذِي قَدْ يَتَمَلَّقُهُمْ وَيَتَظَاهَرُ لَهُمْ بِأَنَّهُ عَلَى سَلَفِيَّةٍ وَعَلَى مَنْهَجٍ صَحِيحٍ وَهُوَ يُبْطِنُ خِلَافَ مَا يُظْهِرُ, وَلَوْ كَانَ يُبْطِنُ مِثْلَ مَا يُظْهِرُ لَظَهَرَ عَلَى فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَفِي جَلَسَاتِهِ وَفِي دُرُوسِهِ وَمَجَالِسِهِ فَإِنَّ الْإِنَاءَ يَنْضَحُ بِمَا فِيهِ, وَكُلُّ إِنَاءٍ بِمَا فِيهِ يَنْضَحُ, فَإِذَا كَانَ سَلَفِيًّا فَلَوْ دَرَّسَ أَيَّ مَادَّةٍ وَلَوْ جُغْرَافِيَا أَوْ حِسَابْ؛ لَرَأَيْتَ الْمَنْهَجَ السَّلَفِيَّ -بَارَكَ اللهُ فِيكَ- يَنْضَحُ فِي دُرُوسِهِ وَفِي جَلَسَاتِهِ وَغَيْرِهَا, فَأَنَا أَنْصَحُ هَذَا الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يُظْهِرُ سَلَفِيَّتَهُ وَيَكْتَفِي بِالتَّزْكِيَاتِ أَنْ يُزَكِّيَ نَفْسَهُ بِالصَّدْعِ بِهَذَا الْمَنْهَجِ فِي دُرُوسِهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ, فَإِنَّ الْأُمَّةَ بِأَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ,

فَإِذَا كَانَ هَذَا الشَّخْصُ -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- مِنْ هَذَا النَّوْعِ الَّذِي قُلْتُ، أَنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَى التَّزْكِيَاتِ وَلَا يُزَكِّي نَفْسَهُ، فَإِنَّ هَذَا يَضُرُّ نَفْسَهُ بِكِتْمَانِ الْعِلْمِ وَكِتْمَانِ الْعَقِيدَةِ وَكِتْمَانِ هَذَا الْمَنْهَجِ وَأَخْشَى أَنْ تَصْدُقَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي تَلَوْنَاهَا عَلَيْكُمْ فِي كِتْمَانِ الْعِلْمِ وَعَدَمِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ, وَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ وَأَقْبَحِهَا وَشَرِّهَا عِنْدَ اللهِ الْبِدَعُ الَّتِي تَتَفَشَّى فِي أَوْسَاطِ الْأُمَّةِ, ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْتَمِدُ عَلَى التَّزْكِيَاتِ وَلَا يُوَاجِهُ هَذَا الْوَاقِعَ الْمُظْلِمَ بِمَا عِنْدَهُ مِمَّا يَزْعُمُهُ أَنَّهُ عَلَى الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ، وَأَنَا مَرَّةً قُلْتُ لِلشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ- كَانَتْ تَصْدُرُ مِنْهُ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ -يَعْنِي-تُشْبِهُ تَزْكِيَةً لِجَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ وَإِنْ كَانَ إِلَى جَانِبِهَا شَيْءٌ مِنْ لَفَتَاتِ الْأَذْكِيَاءِ إِلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنْ ضَلَالٍ مُبِينٍ, فَيَسْتَغِلُّ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَيُخْفُونَ مَا فِيهَا مِنْ طَعْنٍ خَفِيٍّ فِي عَقِيدَتِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ، فَيُبْرِزُونَ الثَّنَاءَ وَيُخْفُونَ الْجَرْحَ, جَلَسْتُ مَعَهُ جَلْسَةً قُلْتُ: يَا شَيْخَنَا , أَنْتَ الْآنَ فِي مِيزَانِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَ اللهُ الْجَمِيعَ, لَكَ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ النَّاسِ -يَعْنِي- إِذَا قُلْتَ كَلِمَةً تَلَقَّفُوهَا عَلَى أَنَّهَا حَقٌّ، وَالْآنَ أَنْتَ تَصْدُرُ مِنْكَ كَلِمَاتٌ يَعْتَبِرُهَا النَّاسُ تَزْكِيَةً لِجَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ وَإِنْ كُنْتَ تَتَحَفَّظُ -يَعْنِي- خِلَالَ كَلَامِكَ,

لَكِنْ هُمْ عِنْدَهُمْ دَهَاءٌ وَعِنْدَهُمْ مَكْرٌ يَسْتَغِلُّونَ التَّزْكِيَةَ وَالثَّنَاءَ وَيُنْكِرُونَ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ وَتُلَمِّحُ إِلَيْهِ مِنْ جَهْلٍ وَضَلَالٍ, وَدَارَ الْكَلَامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَى أَنْ قُلْتُ لَهُ: يَاشَيْخُ, قَالَ:نَعَمْ، قُلْتُ: هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْهِنْدِ وَبَاكِسْتَانَ أَوْ مِنْ أَنْصَارِ السُّنَّةِ فِي مِصْرَ وَالسُّودَانِ , ذَاكَ الْوَقْتَ أَنْصَارُ السُّنَّةِ فِي مِصْرَ وَالسُّودَانِ عَلَى غَايَةِ الثَّبَاتِ عَلَى الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ, ثُمَّ هَبَّتْ عَاصِفَةُ الْفِتَنِ وَالسِّيَاسَةِ..., فَدَبَّتْ فِي صُفُوفِهِمْ وَأَوْقَعَتْ شَيْءٌ مِنَ الْخَلْخَلَةِ, قُلْتُ: هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْهِنْدِ وَبَاكِسْتَانَ أَوْ مِنْ أَنْصَارِ السُّنَّةِ فِي مِصْرَ وَالسُّودَانِ يَطْلُبُ مِنْكَ تَزْكِيَةً عَلَى أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ وَعَلَى سُنَّةٍ؟، قَالَ:لَا، قُلْتُ لَهُ: لِمَاذَا؟، قَالَ: لِمَاذَا أَنْتَ؟، قُلْتُ: لِأَنَّ هَؤُلَاءِ تَشْهَدُ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ, وَأَمَّا جَمَاعَةُ التَّبْلِيغِ وَأَمْثَالُهُمْ فَإِنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تُزَكِّيهِمْ بَلْ تُدِينُهُمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى ضَلَالٍ وَبِدَعٍ, فَضَحِكَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ-، فَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ لَا تُزَكِّيهِ أَعْمَالُهُ وَلَا مَوَاقِفُهُ وَلَا تَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ سَلَفِيٌّ, فَيَلْجَأُ إِلَى هَذِهِ الْوَسَائِلِ الدَّنِيئَةِ مِنَ الِاحْتِيَالِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ وَالتَّمَلُّقِ لَهُمْ حَتَّى يَحْصُلَ عَلَى تَزْكِيَةٍ وَيَكْتَفُونَ بِهَذَا, وَيَذْهَبُونَ لَيْتَهُمْ يَكُفُّونَ بَأْسَهُمْ وَشَرَّهُمْ عَنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ، فَيَذْهَبُونَ يَتَصَيَّدُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِهَذِهِ

التَّزْكِيَاتِ، فَتَكُونُ مَصْيَدَةً, فَيُضَيِّعُونَ بِهَا شَبَابًا كَثِيرًا وَيُحَرِّفُونَهُمْ عَنِ الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ, وَأَنَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ كَثِيرْ وَكَثِيرْ, الَّذِي يَسْلُكُ هَذَا الْمَسْلَكَ السَّيِّئَ, فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ وَأَنْ يُوَفِّقَهُمْ بِأَنْ يُزَكُّوا أَنْفُسَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ, وَأَنْ يَجْعَلَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَاهِدًا لَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَبِالْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: أَسْبَابُ الِانْحِرَافِ وَتَوْجِيهَاتٌ مَنْهَجِيَّةٌ]

الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ فِي الْأَشْخَاصِ هَلْ هُوَ خَاصٌّ بِالْعُلَمَاءِ فَقَطْ أَوْ حَتَّى بِالشَّبَابِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ مَعْرِفَةٌ وَمَاذَا يُشْتَرَطُ فِي الْمَعْرِفَةِ؟

الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ، لَابُدَّ فِيهِ مِنْ صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ، وَلَابُدَّ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ بِأَسْبَابِ الْجَرْحِ بَارَكَ اللهُ فِيكَ لَابُدَّ أَنْ يَعْلَمَ وَلَابُدَّ فِيهِ مِنَ التَّقْوَى وَالْوَرَعِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الَّذِي يَنْتَقِدُ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ يَجْرَحُ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ أَمْرٌ وَاضِحٌ يَعْرِفُهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا يَسْرِقُ هَذَا يَزْنِي يَعْرِفُ تَمَامًا يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا خَائِنٌ يَقُولُ، الْعَامِّيُّ وَالْعَالِمُ

يَقُولُ فِي هَذَا، يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا رَافِضِيٌّ يَعْنِي مَا يُشْتَرَطُ فِيهِ الْعِلْمُ، يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا صُوفِيٌّ يَطُوفُ أَمَامَهُ وَيُقِيمُ الْمَوَالِدَ، يَعْنِي يَذْهَبُ إِلَى الْعَالِمِ وَيَأْتِي يُجَرِّحُهُ؟! قَزْيَتُهُ مَا فِيهَا عَالِمٌ، يَبْقَى سَاكِتْ؟!، أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، فَالْأُمُورُ الْوَاضِحَةُ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِي مَعْرِفَتِهَا الْعَالِمُ وَغَيْرُ الْعَالِمِ هَذِهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ" عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ انْ يَنْصَحَ لِلْمُسْلِمِينَ "بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ" "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" الْآنَ أَرَى وَاحِدْ رَافِضِيّ يُخَالِطُ عَامِّيّ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الرَّفْضِ، أَذْهَبُ أَجِيءُ بِالْعَالِمِ كَيْ يُجَرِّحَهُ؟! أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، صُوفِيٌّ قُبُورِيٌّ يُخَالِطُ وَاحِدْ مِنْ أَهْلِ الْفِطْرَةِ وَيُوَجِّهُهُ إِلَى بِدْعَتِهِ وَأَنَا أَعْرِفُهُ أَنَّهُ قُبُورِيٌّ وَأَنَا أَعْرِفُهُ، أَقُولُ لَهُ: هَذَا قُبُورِيٌّ أَعْرِفُهُ، وَاضِحٌ هَذَا؟ أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، فِيهِ أُمُورٌ خَفِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ وَخِبْرَةٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الشُّرُوطِ الَّتِي قُلْنَاهَا، هَذِهِ تُوكَلُ إِلَى الْعُلَمَاءِ، أَمَّا الْأُمُورُ الْوَاضِحَةُ وَالْمَشْهُورَةُ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: جَلْسَةٌ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ]

سَائِلٌ نَقَلَ نَقْلًا عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ مِنَ الْفَتَاوَى يَقُولُ: "وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ خَالَفَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا الِاعْتِقَادِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَالِكًا فَإِنَّ الْمُنَازِعَ قَدْ يَكُونُ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا يَغْفِرُ اللّٰهُ لَهُ خَطَأَهُ"، فَهَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّ حَدِيثَ: "مَنِ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَمَنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ" يَشْمَلُ الْعَقَائِدَ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأُصُولَ وَالْفُرُوعَ؟

يَا إِخْوَتَاهُ، أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ تَارِيخَ هَذَا الرَّجُلِ أَنَّهُ جَاءَ وَالْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي ضَيَاعٍ وَفِي بِدَعٍ وَنِحَلٍ، فَجَدَّ وَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ فِي إِنْقَاذِ هَؤُلَاءِ الْهَلْكَى، فَأَلَّفَ وَنَاضَلَ وَسُجِنَ حَتَّى مَاتَ الشَّيْخُ فِي مُحَارَبَةِ الْبِدَعِ، فَنَحْنُ مَا نَأْتِي نَتَعَلَّقُ بِكَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ الْمُشْتَبِهَةِ وَنَتْرُكُ كُلَّ نِضَالِهِ وَجِهَادِهِ الَّذِي كَانَتْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، كَانَتْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا جِهَادٌ وَنِضَالٌ ضِدَّ الرَّوَافِضِ، ضِدَّ الْخَوَارِجِ، ضِدَّ الْبَاطِنِيَّةِ، ضِدَّ الْأَشْعَرِيَّةِ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ، فَكُلَّمَا يَكُونُ مُبْتَدِعٌ مَظْهَرُهُ أَقْرَبُ إِلَى السُّنَّةِ كُلَّمَا كَانَ خَطَرُهُ

أَشَدَّ، فَلِهَذَا أَلَّفَ كُتُبًا كَثِيرًا، أَلَّفَ الْوَاسِطِيَّةَ وَالْحَمَوِيَّةَ وَالتَّدْمُرِيَّةَ وَ..وَ...إِلَى آخِرِهِ، وَالْعَقْلَ وَالنَّقْلَ، كُلُّ هَذِهِ رُدُودٌ عَلَى مَنْ؟ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ، لِأَنَّهُمْ هُمْ أَقْرَبُ فِيمَا يَبْدُو إِلَيْنَا، وَهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ لِفَضِّ وَكَشْفِ عَوَارِهِمْ وَتَنَاوَلَ رُؤُوسَهُمْ وَكَسَرَهَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، ثُمَّ أَحْيَانًا يَذْكُرُ مِثْلَ هَذَا، نَحْنُ الْآنَ مَصِيرُهُ إِلَى اللهِ هَذَا الْمُبْتَدِعُ مَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ [هَذَا لَا يَجُوزُ ذِكْرُهُ] لَكِنْ نَحْنُ وَاجِبُنَا مَا هُوَ؟ وَاجِبُنَا التَّحْذِيرُ مِنْ بِدْعَتِهِ، وَلَوْ كَانَ احْتِمَالٌ أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُ وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، نَحْنُ وَاجِبُنَا التَّحْذِيرُ مِنْ بِدْعَتِهِ، لِأَنَّكَ إِذَا وَقَعْتَ فِي بِدْعَتِهِ مَا عِنْدَكَ ضَمَانٌ أَنَّكَ تَسْلَمُ مِنَ النَّارِ، لَكِنْ لَوْ كُنْتَ عَلَى مَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَكَ ضَمَانٌ إِذَا مَا خَالَفْتَ هَذَا الْمَنْهَجَ لَا فِي عِبَادَةٍ وَلَا فِي عَمَلٍ، هَذَا الْمَنْهَجُ مَنِ الْتَزَمَهُ مَضْمُونٌ لَهُ الْجَنَّةُ إِنْ شَاءَ اللهُ، إِذَا خَالَفَ وَلَوْ كَانَ مُنْتَسِبًا إِلَى هَذَا الْمَنْهَجِ قَدْ يَكُونُ عُرْضَةً لِلنَّارِ، فَكَيْفَ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ وَإِلَى تِلْكَ السُّبُلِ الَّتِي عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ الْبِدَعَ وَنُحَذِّرُ مِنْهَا، فَإِذَا سُئِلْنَا: هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ؟ نَقُولُ هَذَا بِيَدِ اللهِ، نَحْنُ وَاجِبُنَا التَّحْذِيرُ وَالتَّنْفِيرُ مِنْ سُبُلِ الشَّيْطَانِ وَمِنَ السُّبُلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى النَّارِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مُعَرَّضُونَ -لَا شَكَّ- إِلَى

الدُّخُولِ فِي النَّارِ، وَإِلَّا يَكُونُ كَلَامُ الرَّسُولِ فِي الْهَوَاءِ، "كُلُّهَا فِي النَّارِ" قَالَ، لَكِنْ بَعْضُهُمْ قَدْ يَنْجُو لِأَسْبَابٍ، أَمَّا هُمْ مَبْدَؤُهُمْ وَمَنْهَجُهُمْ يُؤَدِّيهِمْ إِلَى النَّارِ، عَرَفْتُمْ؟ مَا هُوَ وَاجِبُنَا نَحْنُ؟ وَاجِبُنَا الذَّبُّ عَنْهُمْ وَالدِّفَاعُ عَنْهُمْ وَالْمُحَامَاةُ عَنْهُمْ وَإِلَّا وَاجِبُنَا الطَّعْنُ فِيهِمْ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُمْ لِأَنَّ طُرُقَهُمْ تُؤَدِّي إِلَى النَّارِ، فَنَحْنُ نَحْمِي النَّاسَ نَصِيحَةً لَهُمْ وَحُبًّا لِلْخَيْرِ لَهُمْ، نَحْمِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الطُّرُقِ الَّتِي عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ لِأَبِي حُذَيْفَةَ "مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِي النَّارِ"، فَافْهَمُوا كَلَامَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، ابْنُ تَيْمِيَّةَ لَوْ كَانَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ النَّظْرَةُ وَجَلَسَ عَلَيْهَا وَتَرَكَ مَا جَادَلَ وَلَا نَاضَلَ، [لَكِنْ حَيَاتُهُ كَانَتْ] كُلُّهَا رَدٌّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ، فِي تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ، الْمُعْتَزِلَةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ، الْخَوَارِجُ إِلَى آخِرِهِ كُلُّهُمْ صَارُوا مُعْتَزِلَةً وَأَشْعَرِيَّةً وَجَهْمِيَّةً، فِي تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ، رَدٌّ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ، رَدٌّ عَلَى الْبَكْرِيِّ، التَّوَسُّلُ وَالْوَسِيلَةُ، وَغَيْرُهَا وَغَيْرُهَا، كُلُّهَا حَرْبٌ عَلَى هَذِهِ الْبِدَعِ، فَالْآنَ إِنْ كَانَ [يَرُوحُ يَجْلِسُ] وَيُقْعِدُ نَفْسَهُ وَنَوَّمَ النَّاسَ عَنْ مُحَارَبَةِ الْبِدَعِ، مَا هِيَ النَّتِيجَةُ؟ أَنْ نَزِيدَ الْأُمَّةَ هَلَاكًا، فَنَحْنُ لَوْ أَرَدْنَا مِثْلَ هَذَا، نَحْنُ مَا نَقْدِرُ أَنْ نَقُولَ وَاللهِ إِخْوَانُنَا فِي النَّارِ، الرَّسُولُ هُوَ الَّذِي حَكَمَ، هَذَا حُكْمُ الرَّسُولِ، رَأَيْتُمْ أَمْ لَا، ثُمَّ نَحْنُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْقَوَاعِدِ

وَإِلَى بَعْضِ الْأَشْيَاءِ، مَا نَقْدِرُ نَقُولُ إِنَّ فُلَانًا فِي النَّارِ، مَا نَقْدِرُ، لِأَنَّهُ فِيهِ احْتِمَالٌ يَتُوبُ، فِيهِ احْتِمَالٌ أَنْ يَكُونَ تَرَاجَعَ، فِيهِ احْتِمَالٌ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ، فِيهِ احْتِمَالَاتٌ، لَكِنْ مَا هُوَ وَاجِبُنَا تُجَاهَ بِدَعِهِ؟ الدِّعَايَةُ لَهَا وَالذَّبُّ عَنْهَا وَالتَّشْجِيعُ عَلَيْهَا وَإِلَّا التَّحْذِيرُ مِنْهَا؟ هَذَا وَاجِبُنَا، أَمَّا هَذَا فَنَتْرُكُهُ لِلهِ، هَذَا الشَّيْءُ -يَا إِخْوَانُ- مَا هُوَ لَنَا، فَهِمْنَا هَذَا يَا إِخْوَةُ؟ فَمَنْ يَأْتِي بِهَذَا الْكَلَامِ لِيُصَدِّرَ بِهِ دُعَاةَ السُّنَّةِ فَهَذَا خَائِنٌ، لَا يَجُوزُ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ، أَمَّا آتِي وَأُحَذِّرُ مِنَ الْبِدَعِ وَأُحَذِّرُ وَأُحَذِّرُ، ثُمَّ يَسْأَلُنِي سَائِلٌ يَقُولُ لِي هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ؟ أَقُولُ: هَذَا إِلَى اللهِ، الرَّسُولُ أَخْبَرَ ...، رَأَيْتَ؟ وَلَكِنْ أَنَا أُحَذِّرُكَ، أُحَذِّرُكَ مِنَ الْبِدَعِ كُلِّهَا، لَا أُشَجِّعُكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، وَلَا تَسْتَصْغِرْ شَيْئًا مِنْهَا أَبَدًا، تُحَذِّرُهُ مِنْ بِدَعِهِ وَأُجَسِّمُهَا لَهُ كَمَا فَعَلَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَهِمْتُمْ هَذَا؟ أَمَّا تَأْتِي تَبْحَثُ فِي عَشَرَاتِ الْمُجَلَّدَاتِ، كُلُّهَا حَرْبٌ عَلَى الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا، وَتَأْخُذُ هَذَا النَّصَّ وَتَأْتِي [تُقْنِعُ] بِهِ نَفْسَكَ وَ[تُقْنِعُ] بِهِ النَّاسَ، هَذَا يَزِيدُ الْأُمَّةَ هَلَاكًا، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنَا وَأَنْ يُعَافِيَ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ يَسْلُكُونَ هَذَا الْمَسْلَكَ فِي تَحْدِيرِ الْأُمَّةِ عَنِ الْبِدَعِ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ هَلَاكِهِمْ وَذُلِّهِمْ، وَمَا لَوْ خَرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْبِدَعِ لَأَعَزَّنَا اللهُ وَأَكْرَمَنَا وَنَصَرَنَا عَلَى الْيَهُودِ وَنَصَرَنَا عَلَى

النَّصَارَى وَعَلَى الشُّيُوعِيِّينَ وَالْهِنْدُوسِ وَكُلِّ مَنْ يُشْرِكُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ أَنْتَ لَمَّا تَذْهَبُ تُدَافِعُ وَعِنْدَكَ قُبُورٌ وَعِنْدَكَ بِدَعٌ وَعِنْدَكَ...، تُدَافِعُ عَلَى مَاذَا؟ مَا هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي تُدَافِعُ عَنْهُ؟ لَمَّا تَكُونُ أَنْتَ قُبُورِيّ حُلُولِيّ خُرَافِيّ تُحَارِبُ التَّوْحِيدَ تُحَارِبُ السُّنَّةَ، تُجَاهِدُ عَلَى مَاذَا؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُجَاهِدُ؟ تُجَاهِدُ عَنِ الْبَاطِلِ، اللهُ لَا يَنْصُرُكَ، اذْهَبْ وَجَاهِدْ عَنِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ جَاهِدْ عَنْ عَمَلٍ صَحِيحٍ عِبَادَاتٍ وَغَيْرِهَا مُسْتَمَدَّةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَنْتَ عَلَى مَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ تُجَاهِدُ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ لَابُدَّ أَنْ يَنْصُرَكَ اللهُ لِأَنَّكَ تُجَاهِدُ عَنْ مَنْهَجِهِ "مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"، وَاللهِ لَيَنْصُرَنَّنَا اللهُ عَلَيْهِمْ إِنْ نَحْنُ عُدْنَا، فَلَا تَسْمَعُوا لِلْمُخَدِّرِينَ وَالْمُنَوِّمِينَ وَالْمُمَيِّعِينَ الَّذِينَ عَمَوُا الْأُمَّةَ وَزَادُوهَا هَلَاكًا عَلَى هَلَاكٍ،...، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ يَا إِخْوَةُ، خُذُوا الْحَذَرَ مِنْ هَذِهِ التَّمْيِيعَاتِ، خُذُوا الْحَذَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ الْمُخَدِّرَةِ الْمُمَيِّعَةِ الْمُنَوِّمَةِ فِي اتِّجَاهِ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا، حَتَّى يَجْعَلُوا الرَّوَافِضَ إِخْوَانَهُمْ! بَلْ يَجْعَلُونَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ إِخْوَانَهُمْ! وَيُنَادُونَ الْآنَ بِأُخُوَّةِ النَّصَارَى بَعْدَ أَنْ [

تَمَكَّنُوا] مِنْ إِقْنَاعِ كَثِيرٍ مِنَ الْبُلَهَاءِ بِأُخُوَّةِ الرَّوَافِضِ وَالْبَاطِنِيَّةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، الْآنَ يَقُودُونَنَا إِلَى وَحْدَةِ الْأَدْيَانِ انْطِلَاقًا مِنَ الْقَاعِدَةِ الْخَبِيثَةِ الْمُدَمِّرَةِ "نَتَعَاوَنُ فِيمَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ وَيَعْذِرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ"، هَذِهِ قَاعِدَةٌ مَاسُونِيَّةٌ نَجِسَةٌ، هَذِهِ الْقَاعِدَةُ وَضَعَهَا الْمَاسُونُ لِجَمْعِ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَدْيَانِ وَالْمِلَلِ وَالنِّحَلِ تَحْتَ رَايَةٍ مَاسُونِيَّةٍ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ تَدْعُو فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنَّا نَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ وَمَا يَخْجَلُونَ مِنْ إِدْخَالِ الرَّوَافِضِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ فِيهَا ثُمَّ لَمَّا تَمَكَّنُوا هُمْ يُعْلِنُونَهَا دَعْوَةً إِلَى أُخُوَّةِ النَّصَارَى، الْحِزْبُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ، وَحْدَةُ الْأَدْيَانِ، وَيَعْقِدُونَ لَهَا الْمُؤْتَمَرَاتِ، هَؤُلَاءِ الْمُخَدِّرُونَ هُمْ زَادُوا الْأُمَّةَ هَلَاكًا مِنْ جَانِبٍ تَقْسِيمٌ تَدْمِيرٌ مِنْ جَانِبٍ أَخَرَ تَمْيِيعٌ تَخْدِيرٌ، اللَّعِبُ بِعُقُولِ النَّاسِ وَإِبْعَادُهُمْ عَنْ مَنْهَجِ اللهِ الْحَقِّ، يَا إِخْوَةُ هَذِهِ الْبِلَادُ [كَمْ مِنْ شَبَابِنَا الَّذِينَ يَدْعُونَ الْآنَ] إِلَى التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ كَمْ هُمُ الْآنَ؟ قَلِيلٌ، قَلِيلٌ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالسُّنَّةِ وَبِالْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ، وَالْبَقِيَّةُ خَدَّرَهُمْ هَؤُلَاءِ وَضَيَّعُوهُمْ وَمَيَّعُوهُمْ، فَهَؤُلَاءِ سَيَقُودُونَ الْأُمَّةَ إِلَى هَلَاكٍ لَا نَظِيرَ لَهُ، مِنْ جِهَةٍ: ثَوْرَةٌ عَلَى الْحُكَّامِ وَتَكْفِيرٌ وَتَكْفِيرٌ وَتَكْفِيرٌ وَقِتَالٌ وَحُرُوبٌ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى بِالنِّسْبَةِ لِلشُّعُوبِ الرَّافِضَةُ إِخْوَانُنَا الْبَاطِنِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيُّ وَالْيَهُودِيُّ أَخُوكَ،

[يُهْلِكُونَ الْأُمَّةَ] عَلَى رَايَتَيْنِ، الْآنَ فِي أَفْغَانِسْتَانَ هَؤُلَاءِ يُقَاتِلُونَ إِلَى جَنْبِ الشُّيُوعِيِّينَ وَالرَّافِضَةِ وَالْبَاطِنِيِّينَ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ، إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تُقَاتِلُونَ؟ مَاذَا تُرِيدُونَ؟ يَعْنِي الْخُمَيْنِيُّ فَضَحَهُ اللهُ وَانْكَشَفَ، هَؤُلَاءِ مَا فِيهِ أَحَدٌ يَكْشِفُهُمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى هَذَا الْحَدِّ، دَعَوْا إِلَى وَحْدَةِ الْأَدْيَانِ، تَحَالُفَاتٌ، جِهَادٌ مَعَ الْيَهُودِ وَالشُّيُوعِيِّينَ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، انْتَبِهُوا لِهَؤُلَاءِ، يَجِبُ الْحَذَرُ يَا إِخْوَةُ، يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ خَطَرَ الْبِدَعِ، وَأَنْ نَحْذَرَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْأَفْرَادُ فَحُكْمُهُمْ إِلَى اللهِ، قَدْ يَنْجُو مِنَ النَّارِ وَقَدْ يُدْخِلُهُ النَّارَ، الْغَالِبُ قَدْ يُدْخِلُهُ النَّارَ وَلَكِنْ قَدْ يَنْجُو فِيهِ احْتِمَالٌ أَنْ يَنْجُوَ لَكِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَهُمُّنَا نَحْنُ وَاجِبُنَا أَنْ نَأْخُذَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ الرَّسُولِ [وَنَنْبِذَ الْبِدَعَ] فَنُحَذِّرَ، ابْنُ عُمَرَ وَاحِدٌ رَدَّ عَلَيْهِ.... مَاذَا قَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ مَاذَا قَالَ لَهُ؟ شَتَمَهُ وَضَرَبَهُ وَدَفَعَهُ وَحَذَّرَ مِنْهُ وَأَمَرَ بِهَجْرِهِ إِلَى أَنْ....دَخَلَ فِي مَسْجِدٍ كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ فَوَقَفَ وَاحِدٌ أَمَامَ بَابِ الْمَسْجِدِ يَقُولُ الصَّلَاةُ.....فَلَاحْ، مَاذَا فِي هَذَا؟ قَالَ: اخْرُجْ بِنَا مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُ مَسْجِدُ بِدْعَةٍ، وَاللهِ لَأَنْ أَرَى النَّاسَ....أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَثْرَةِ الْبِدَعِ، هَذَا مَوْقِفُهُمْ مِنَ الْبِدَعِ يَا إِخْوَةُ، فَالْبِدَعُ بَغِيضَةٌ وَكَرِيهَةٌ وَيَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهَا وَالتَّحْذِيرُ مِنْهَا وَمِنْ أَخْذِهَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ

وَإِذَا اضْطُرِرْنَا اضْطِرَارًا لَا مَحِيدَ مِنْهُ نَأْتِي بِهَذَا الْمُبْتَدِعِ بِشُرُوطٍ أَنْ....بَلْ لَوِ اسْتَغْنَيْنَا عَنْهُمْ وَالْأَفْضَلُ الْإِتْيَانُ لِأَنَّنَا جَرَّبْنَاهُمْ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ سَابِقًا فَحَصَلَ مِنْهُمْ مِنَ الشُّرُورِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: خَطَرُ الْبِدَعِ]

مَا هِيَ الْكُتُبُ الَّتِي تَنْصَحُ طَالِبَ الْعِلْمِ بِقِرَاءَتِهَا وَالَّتِي تَعْتَنِي بِتَوْضِيحِ الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ لَهُ؟

عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْصَحُ نَفْسِي وَإِخْوَانِي أَوَّلًا بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَفِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، وَهُوَ أَصْلُ الْإِسْلَامِ، وَالسُّنَّةُ هِيَ شَرْحُهُ وَبَيَانُهُ، ثُمَّ دِرَاسَةُ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّحِيحَيْنِ وَالسُّنَنِ الْأَرْبَعِ وَمِنَ الْمَسَانِيدِ وَالْجَوَامِعِ وَغَيْرِهَا، أُوصِي طُلَّابَ الْعِلْمِ أَنْ يَدْرُسُوا هَذِهِ السُّنَنَ الثَّابِتَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَنْ يَدْرُسُوا يَعْنِي بَعْضَ الْكُتُبِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّهَاتِ، وَيُرَكِّزُوا عَلَيْهَا تَرْكِيزًا خَاصًّا، لِأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِأُصُولِ الدِّينِ، مِثْلَ كِتَابِ الْعِلْمِ مِنَ الْبُخَارِيِّ وَكِتَابِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ كِتَابَ

الْإِيمَانِ هَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَوَضَعَ فِيهِ الْأَحَادِيثَ لِيُبَيِّنَ مَنْهَجَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي بَابِ الْإِيمَانِ وَيَرُدَّ فِي تَرَاجِمِهِ عَلَى الْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ فِي هَذَا الْأَصْلِ.

وَيُرَكِّزُ عَلَى كِتَابِ الِاعْتِصَامِ وَأَخْبَارِ الْآحَادِ وَكِتَابِ التَّوْحِيدِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّ هَذِهِ تَتَعَلَّقُ بِأُصُولِ الدِّينِ، وَمُهِمَّةٌ جِدًّا، يَجِبُ أَنْ نَتَفَقَّهَ فِيهَا بَعْدَ التَّفَقُّهِ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

كَذَلِكَ يُرَكِّزُ عَلَى كِتَابِ السُّنَّةِ مِنْ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ، لِأَنَّ هَذَا أَصْلٌ مُهِمٌّ جِدًّا، وَيَلْتَقِي مَعَ الْبُخَارِيِّ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا، وَيُنَبِّهُ فِيهَا عَلَى الْبِدَعِ، بِدَعِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ، وَيَتَمَيَّزُ أَصْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمَذْهَبُهُمْ عَنِ الْمَذَاهِبِ الْمُنْحَرِفَةِ، هَذِهِ أُصُولٌ فِي هَذَا الْبَابِ تُدْرَسُ.

كَذَلِكَ كِتَابُ الِاتِّبَاعِ لِابْنِ مَاجَهْ رَحِمَهُ اللهُ.

كَذَلِكَ خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ لِلْبُخَارِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- يُدْرَسُ، يَعْنِي بِهِ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ أُصُولْ عَظِيمَةً مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِقَضَايَا الْقُرْآنِ وَالْعَقَائِدِ، الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهَا أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ.

كَذَلِكَ شَرْحُ السُّنَّةِ لِلْبَغَوِيِّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ يُؤَكَّدُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يُرَكِّزُ عَلَى هَذَا الْبَابِ.

وَالسُّنَّةُ لِلْخَلَّالِ، وَالسُّنَّةُ لِلَّالَكَائِيِّ شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالْحُجَّةُ لِلْأَصْفَهَانِيِّ، وَالْإِبَانَةُ لِابْنِ بَطَّةَ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ كُتُبُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُمَا اللهُ، فَإِنَّ فِيهَا – وَلِلهِ الْحَمْدُ- الْبَيَانَ الشَّافِيَ الْكَافِيَ لِأُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ.

هَذِهِ أُمُورٌ الْعِلْمُ فِيهَا حَيٌّ، تَتَلَقَّى الْقُرْآنَ، تَدْرُسُ الْعَقِيدَةَ وَالْمَنْهَجَ وَالْأُصُولَ وَالْفُرُوعَ كَأَنَّمَا تَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كُتُبُ السُّنَّةِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا كَأَنَّكَ تَتَلَقَّاهَا مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَذَلِكَ سَائِرُ الْكُتُبِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا كَأَنَّمَا تَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهِ وَمِنْ أَفْوَاهِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَمَا نَبَغَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَتَوَسَّعَ وَتَمَكَّنَ مِنْ بَيَانِ الْحَقِّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ دَرَسَ هَذِهِ الْكُتُبَ، فَنَدْرُسُ هَذِهِ الْكُتُبَ، وَهَذِهِ الْأَبْوَابَ مِنْهَا، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، ثُمَّ نَدْرُسُ سَائِرَ السُّنَنِ وَنَنْظُرُ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ وَكُتُبِ الْحَدِيثِ، كُلُّهَا نَافِعَةٌ، لَكِنْ هَذِهِ يُرَكَّزُ عَلَيْهَا بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ، وَخَاصَّةً فِي هَذِهِ

[الْأَوْقَاتِ] الَّتِي كَثُرَتْ فِيهَا الِانْحِرَافَاتُ فِي الْأُصُولِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْفِكْرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ – بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ – الصُّوفِيَّةِ وَالرَّوَافِضِ وَغَيْرِهِمْ، لَهُمْ نَشَاطٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ غَرِيبٌ جِدًّا، وَالْوَسَائِلُ كَثِيرَةٌ جِدًّا لِنَشْرِ أَفْكَارِهِمُ الْفَاسِدَةِ، فَهَذِهِ الْبِدَعُ وَالْخُرَافَاتُ وَالْفِتَنُ لَا يَقْمَعُهَا إِلَّا الْعِلْمُ الْمَأْخُوذُ بِجَدَارَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ فِقْهِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، وَالْكُتُبُ الَّتِي أَشَرْتُ إِلَيْهَا تَتَضَمَّنُ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُفَقِّهَنَا وَإِيَّاكُمْ فِي دِينِهِ وَ"مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: إِزَالَةُ الْإِلْبَاسِ عَمَّا اشْتَبَهَ فِي أَذْهَانِ النَّاسِ]

مَا أَفْضَلُ كِتَابٍ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ أُلِّفَ فِي الْعَقِيدَةِ ؟

أَصَحُّ كِتَابٍ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ثُمَّ يَلِيهِ صَحِيحُ مُسْلِمٍ، ثُمَّ كُتُبُ الْعَقَائِدِ مَا نُقَارِنُ بَيْنَهَا فَنَقُولُ هَذَا خَيْرٌ وَهَذَا شَرٌّ وَلَا هَذَا أَفْضَلُ مِنْ هَذَا! يُمْكِنُ هَذَا أَوْسَعُ مِنْ هَذَا، كُتُبُ الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ كُلُّهَا خَيْرٌ، كُلُّهَا تَنْفَعُ ، وَأَنْتَ تَدُلُّ كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَى الْكِتَابِ الَّذِي يَصْلُحُ لَهُ وَعَلَى قَدْرِ حَالِهِ، وَعَلَى قَدْرِ مُسْتَوَاهُ، وَقَدْ يَكُونُ

هُنَاكَ كِتَابٌ حَوَى مِنَ الْأَدِلَّةِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ، فَهَذَا لَا يَسْتَوْعِبُهُ فَأَنْتَ تَدُلُّهُ عَلَى كِتَابٍ يَسْتَوْعِبُهُ وَيَفْهَمُهُ لِأَنَّ الرَّبَّانِيَّ هُوَ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ فَيَبْدَأُ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ، الرَّبَّانِيُّ هُوَ الَّذِي يَتَدَرَّجُ بِهِمْ فِي التَّرْبِيَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَلِهَذَا السَّلَفُ تَرَاهُمْ وَضَعُوا مُتُونًا خَفِيفَةً لِيَتَدَرَّجَ بِهَا النَّاسُ، إِذَا أَخَذَ بِهَذَا وَفَهِمَهَا انْتَقَلَ إِلَى مَا وَرَاءَهَا.

[التَّحْذِيرُ مِنَ الشَّرِّ]

مَا هِيَ الْكُتُبُ الَّتِي تَنْصَحُونَ طَالِبَ الْعِلْمِ بِاقْتِنَائِهَا فِي مَسْأَلَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟

كُتُبُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَمِنْهَا كِتَابُ الْقَدَرِ لِابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَشِفَاءُ الْعَلِيلِ لِابْنِ الْقَيِّمِ، وَكِتَابُ الْقَدَرِ لِأَبِي دَاوُودَ، وَالطَّحَاوِيَّةُ وَالْوَاسِطِيَّةُ وَإِلَى آخِرِهِ، وَعِنْدَكُمُ الْبُخَارِيُّ كِتَابُ الْقَدَرِ، وَمُسْلِمٌ كِتَابُ الْقَدَرِ، وَمِنْ كَلَامِ السَّلَفِ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

[شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ]

اذْكُرْ لَنَا فَضِيلَةَ الشَّيْخِ بَعْضَ الْكُتُبِ الْمُفِيدَةِ الَّتِي تَحْمِلُ فَضَائِلَ الصَّحَابَةِ لِكَيْ نَقْرَأَهَا، وَبَعْضَ الْكُتُبِ الَّتِي تَسُبُّ الصَّحَابَةَ لِكَيْ نَحْذَرَهَا.

أَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي تُبَيِّنُ فَضَائِلَ الصَّحَابَةِ فَفِي طَلِيعَتِهَا الْقُرْآنُ ثُمَّ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ خَلَّدَا لَهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَازِلِ الْعَظِيمَةِ مَا هُمْ حَرِيُّونَ بِهِ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَكَيْفَ يُتْرَكُ هَؤُلَاءِ وَلَا يُخَلَّدُ ذِكْرُهُمْ وَفَضَائِلُهُمْ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ وَفِي سُنَّةِ نَبِيِّهِ الْمُطَهَّرَةِ، ثُمَّ أُلِّفَتْ فِي مَنَاقِبِهِمْ كُتُبٌ يَنْبَغِي أَنْ نَدْرُسَهَا لِنَعْرِفَ مَنَازِلَهُمْ، مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْكُتُبِ: فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، الَّذِي عَرَفَ قَدْرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَيْرُهَا، وَلِلهِ الْحَمْدُ، مِنَ الْكُتُبِ، شُرُوحُ السُّنَّةِ وَغَيْرُهَا وَفِي كُتُبِ الْعَقَائِدِ الَّتِي تَذُبُّ عَنْهُمْ، وَتَتَكَلَّمُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنَ الرَّوَافِضِ وَالْخَوَارِجِ، مِثْلُ الشَّرِيعَةِ لِلْآجُرِّيِّ، وَمِثْلُ السُّنَّةِ لِلْخَلَّالِ، وَمِثْلُ الْإِبَانَةِ الصُّغْرَى لِابْنِ بَطَّةَ، وَمِثْلُ الْحُجَّةِ لِلْأَصْبَهَانِيِّ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْكُتُبِ الَّتِي تُبَيِّنُ الْعَقَائِدَ، وَمِنْ ضِمْنِ الْعَقَائِدِ احْتِرَامُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَاعْتِقَادُ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ، مِنْ

أَجْلِهِمْ نُوَالِي، وَمِنْ أَجْلِهِمْ نُعَادِي، وَمَعَ الْأَسَفِ يُوجَدُ فِي السَّاحَةِ مَنْ يُوَالِي مِنْ أَجْلِ خُصُومِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ، يُوَالِي وَيُعَادِي مِنْ أَجْلِ مَنْ يَسُبُّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ لِهَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ، وَاللهِ لَقَدْ نُكِبُوا فِي دِينِهِمْ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ حَبَائِلِ وَمَصَائِدِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الَّتِي أَوْصَلَتْهُمْ إِلَى هَذَا الْمُنْحَدَرِ.

وَأَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي سَبَّتْهُمْ، كَكُتُبِ الرَّوَافِضِ قَبَّحَهُمُ اللهُ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا، وَقَدْ تَصَدَّى لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مَنْ تَصَدَّى لِلرَّدِّ، بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، مِثْلُ الْمِنْهَاجِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَمِثْلُ الْمُنْتَقَى الَّذِي اخْتَصَرَهُ الذَّهَبِيُّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَمِثْلُ التُّحْفَةِ الْإِثْنَا عَشْرِيَّةِ لِلدِّهْلَوِيِّ، وَكِتَابَاتٌ كَثِيرَةٌ، كُتُبُ إِحْسَانِ إِلَهِي ظَهِيرٍ اللهُ يَرْحَمُهُ، فَقَدْ أَجَادَ وَأَفَادَ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ، وَمِنْهَا كِتَابُ "مَطَاعِنُ سَيِّدِ قُطْبٍ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ"، مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ، اقْرَؤُوا، وَاللهِ لَوْ تَقْرَؤُوا الْعَدَالَةَ الْإِجْتِمَاعِيَّةَ فَإِنَّهَا تَقْشَعِرُّ الْجُلُودُ وَيَنْدَى الْجَبِينُ وَتَتَقَطَّعُ الْقُلُوبُ حَسَرَاتٍ مِمَّا صَبَّهُ هَذَا الرَّجُلُ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الرَّوَافِضُ لَا قِيمَةَ لَهُمْ عِنْدَ الْأُمَّةِ وَلَكِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُقَدِّسُهُمْ، وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا فِي

عُقُولِ هَؤُلَاءِ وَلَا أَدْرِي وَاللهِ مَا هُوَ دِينُهُمْ، فَنَسْأَلُ اللهَ لَهُمُ الْعَافِيَةَ، فَنُحَذِّرُ مِنْ كِتَابِ "الْعَدَالَةِ" أَيْضًا، فَهُوَ كِتَابٌ سَيِّئٌ جِدًّا فِي غَايَةِ السُّوءِ، فِيهِ اشْتِرَاكِيَّةٌ مَارْكِسِيَّةٌ، فِيهِ مَذْهَبُ الْخَوَارِجِ وَالتَّكْفِيرُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، فِيهِ سَبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ سَبًّا شَنِيعًا، وَعَلَى رَأْسِهِمْ عُثْمَانُ، وَكُتُبُ "الشَّخْصِيَّاتِ" لِهَذَا الرَّجُلِ فِي سَبٍّ مُدْقِعٍ لِمُعَاوِيَةَ وَعَمْرٍو، [وَالْجِيلِ]، [الْجِيلِ] الَّذِي فَتَحَ الدُّنْيَا، سَبٌّ شَنِيعٌ، وَإِهَانَةٌ لَهُمْ وَلِفُتُوحَاتِهِمْ، الْفُتُوحَاتُ هَذِهِ قَالَ: لَا تُسَاوِي شَيْئًا، لَا يَرَى لَهَا أَيَّ قِيمَةٍ، الرَّسُولُ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"، ثُمَّ جَاءَ وَاقِعُهُمْ مُوَافِقًا لِهَذَا الثَّنَاءِ وَلِهَذِهِ الشَّهَادَةِ، فَتَحُوا الدُّنْيَا، وَهُوَ لَا يَرَى هَذَا شَيْئًا، لَا قِيمَةَ لَهُ، فَأَيُّ عَدَاوَةٍ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مِثْلُ هَذِهِ الْعَدَاوَةِ؟، لِمَاذَا نُرِيدُ هَذِهِ الْأَصْنَافَ؟ أَيَّ خَيْرٍ قَدَّمَتْهُ؟ وَاللهِ هَذَا الرَّجُلُ مَا تَرَكَ أَصْلًا مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَفْسَدَهُ، صِفَاتُ اللهِ، حُرْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ، حُرْمَةُ الصَّحَابَةِ، مَكَانَتُهُمْ، حُلُولٌ، وَحْدَةُ وُجُودٍ، بَلَايَا، بَلَايَا...،كَيْفَ هَذَا الْإِنْسَانُ يُقَدَّرُ فِي أَوْسَاطِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ؟ هَذَا الصِّنْفُ؟، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَهُمْ مِنْ هَذِهِ، وَلَيْتَهَا تَكُونُ مِثْلَ تِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ ضَرَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ التِّيهَ أَرْبَعِينَ سَنَةً،

هَؤُلَاءِ الْآنَ دَاخِلِينَ فِي خَمْسِينَ سِتِّينَ سَنَةً وَمَا انْتَهَوْا مِنْ هَذَا الشَّيْءِ، كَيْفَ؟ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

[شَرِيطٌ بِعُنْوَانِ: وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا]

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْخِلَافَ فِي الْفُرُوعِ سَائِغٌ بِشَرْطِهِ فَمَا هِيَ الضَّوَابِطُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْخِلَافُ فِي بَعْضِ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ سَائِغًا؟

وَاللهِ مَا أَرَى هُنَاكَ مُسَوِّغْ لِلْخِلَافِ فِي الْعَقِيدَةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُونَ بِهِ مِمَّا يَنْسُبُونَهُ إِلَى الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْعَقِيدَةِ، فَهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي شَيْءٍ، وَسَيَأْتِينَا إِنْ شَاءَ اللهُ فِي دَرْسٍ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

[شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ]

هَلْ يُقَالُ: إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي أُصُولِ الْعَقِيدَةِ أَبَدًا؟

نَقُولُ: الصَّحَابَةُ مَا اخْتَلَفُوا، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَمِنْ أَفَاضِلِهِمْ مَنْ وَقَعَ فِي بَعْضِ الِاخْتِلَافَاتِ الْبَسِيطَةِ الَّتِي لَا تُؤَثِّرُ عَلَى الْمَنْهَجِ مِثْلُ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، أَوْ هُمَا شَيْئَانِ مُتَغَايِرَانِ وَكُلٌّ لَهُ مُسْتَنَدُهُ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ شَيْئَانِ مُتَغَايِرَانِ، فَالْإِسْلَامُ كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ يُرَادُ بِهِ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْإِيمَانُ الْأَعْمَالُ الْبَاطِنَةُ، "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وانَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا"، "الْإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ..."، فَإِنِ اجْتَمَعَا افْتَرَقَا، وَإِذَا افْتَرَقَا اجْتَمَعَا، فَالِاخْتِلَافَاتُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ وَهِيَ لَا تَضُرُّ إِنْ شَاءَ اللهُ.

[شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ]